د . أمل درويش

التشاكل الأجناسى
في
سباعية السيد حافظ

الكتاب : التشاكل الأجناسى في سباعية السيد حافظ

الكاتبة : د. أمل درويش

الناشر: مركز الوطن العربى "رؤيا"

البريد الالكترونى : justhappy_man2000@yahoo.com

Hafez66@live.com

تليفون : ٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨

الناشر : " العنوان " للنشر والتوزيع – الشارقة مويلح

ص.ب : ٨١٨١١ alenwan10@gmail.com

الناشر : دار الطباعة الحرة للطباعة والنشر

تليفون : ٠٣ / ٤٨٦٠٠١٢

الطبعة الاولى : القاهرة ٢٠٢٠

رقم الإيداع : ٢٨٤٢ / ٢٠٢٠

دار الكتب والوثائق القومية

إدارة الإيداع القانونى

الترقيم الدولى : I.S.B.N 978 – 01 – 735 – 961 - 5

الغلاف :

تصميم وإخراج : خالد شعبان

الإشراف على التنفيذ : الأستاذ / أحمد حافظ

الجمع والصف الالكترونى : وحدة الكمبيوتر بالمركز

تنفيذ : خالد شعبان

التوزيع :

دار الطباعة الحرة للطباعة والنشر

الإسكندرية : ١٠ ش ابن الشجاع – الأزريطة – الإسكندرية – ج.م.ع

تليفون : ٠٣ / ٤٨٦٠٠١٢

مكتبة ليلى : القاهرة – ش جواد حسنى – أمام بنك ناصر – متفرع من ش قصر النيل

تليفون : ٠١٠١٧٥٧٦١٥٩

مكتبة أكمل : الإسكندرية ١٨١ / ١٨٣ شارع أحمد شوقى – رشدى

تليفون : ٠٣٤٥٥٧٣٥٢

مقدمة

لعل غالبية المثقفين يعرفون الكاتب الكبير السيد حافظ على أنه مؤسس المسرح التجريبي في مصر والعالم العربي، ومعظم الدراسات التي تناولت أعماله الإبداعية كانت عن أعماله المسرحية التي قام بكتابتها.

ولكننا هنا بصدد تناول عمل آخر لا يقل إبداعًا وتفردًا عن أعماله المسرحية، إنها سباعية روائية أو بالأحرى هذه الملحمة التي امتدت في سبعة أجزاء، وحملت بين طياتها مزيجًا فريدًا من التاريخ القديم والمعاصر وما أخفاه بين ثناياه، وما أفصح عنه الرواة وما تم إخفاؤه أو طمسه عن عمد أو اندثر وانهال عليه غبار الزمن منتظرًا ذلك الفارس الشجاع الذي يهيل عنه الغبار، ويعيده للحياة ويقيّده في سطور الزمن.

عند الولوج إلى عالم الأدب، تجد البعض يحبو والبعض يسير بخطى واثقة، والبعض الآخر يحلق في فضاء الإبداع وكأنه ولد بين خيوط النور أو هام بين الطيور مُحلقًا.

وها نحن هنا نقف أمام قامة كبيرة، لا يقبل إلا بالصفوف الأولى وإن سار على الدرب منفردًا، ونالت منه ألسنة الآخرين لأنه اختار اعتلاء القمم، ولم تتعثر خطواته في تلك الأحجار التي عكف الباقون على إلقائه بها، فكانت بمثابة

الحافز، ووسيلة لاستثارة الهمة ومواصلة السير والارتقاء.. وهنا يجدر بالذكر الإشارة إلى أن التكريم من الآخرين ليس بالضرورة أن يكون مكافأة المبدع!!

فكثير من المبدعين على مر التاريخ لم يكرمهم زمانهم، ولم يقدرهم معاصروهم القدر الذي يستحقونه.

ولنا أمثلة كثيرة عبر التاريخ ، قد ذكر بعضها كاتبنا السيد حافظ أمثال ابن رشد ، ابن حزم، السهروردي، عبد الرحمن الجبرتي، ومن العصر الحديث: محمود دياب، نجيب سرور.. والقائمة طويلة.

وفي هذه الملحمة أو السباعية المنفصلة المتصلة كما أطلق عليها أديبنا الكبير نجد أنها صورة مجسدة وتطبيق فريد لتداخل وتمازج الأجناس الأدبية في فن الرواية..

الأجناس الأدبية

لطالما شكّلت فكرة تمييز الأجناس الأدبية وتحديدها أزمة لدى الكثير، وقد تصدى لها الناقد والفيلسوف الفرنسي تزفيتان تودورف في كتابه نظرية الأجناس الأدبية، وقام بشرحها وتوضيحها، وذلك عن طريق العلاقة بين الوحدة البنيوية والظاهرة التاريخية من خلال مقاربيتن هما:

مقاربة استقرائية: تسجل وجود الأجناس انطلاقًا من ملاحظة مرحلة معينة.

مقاربة استنباطية: تسلم بوجود الأجناس من خلال نظرية في الخطاب الأدبى. (١)

ويستعرض تودورف بعض التصنيفات المشهورة كما يلى:

النثر والشعر.. ومما يذكره في بناء الرواية أن الرواية المعاصرة تفرض قراءة شعرية ليس كتمثيل لعالم آخر ولكن كبناء دلالى.

غنائى ، ملحمى ، درامى : وقد صنف ديوميد في القرن الرابع في منهجة لما قدمه أفلاطون فيصف الغنائى بالأعمال التى يتحدث فيها المؤلف وحده ، ويصف الدرامى بالأعمال التى تتحدث فيها الشخصيات وحدها ، والملحمى بالأعمال التى يملك فيها المؤلف والشخصيات معًا

---

(١) ص١٢ نظرية الأجناس الأدبية تزفيتان تودورف ترجمة عبد الرحمن بو علي

الحق في الكلام.[1]

وهناك تصنيفات أخرى مثل تصنيف أندريه يولس الذي قسم الأدب إلى واقعى يمتاز بالوعى والحركة ومثالى يتمثل في الأساطير والأقوال المأثورة والخرافات أحيانًا.[2]

وفي لمحة سريعة مبسطة يمكننا التطرق إلى الأجناس في الأدب العربى وتطورها كما يلى:

عرف العرب الشعر والخطابة منذ القدم، واستشهدوا بها منذ العصر الجاهلي، وكان ذلك إلى جانب الأمثال الشعبية التي شاركت المشهد على استحياء.

ومع دخول الإسلام الذي صقل اللغة العربية ودعمها عند العرب فوحّدهم بلسان واحد، ظهر التطور في الأجناس الأدبية، فبدأ أدب الرسائل بالظهور خلال العصر الأموي، وكان عبد الحميد الكاتب مؤسس هذا الفن وأبرع من قدمه في الدولة العباسية.

ثم ظهر فن المقامة وانتشرت وعرفت على يد بديع الزمان الهمذاني في الدولة العباسية أيضًا.

ثم فن الموشحات الذي يعد تطورًا لفن الشعر الغنائي والملحمي والشعر المسرحي المعروف منذ العصر الروماني.

---

(١) ص١٧ نظرية الأجناس الأدبية تزفيتان تودورف ترجمة عبد الرحمن بو علي
(٢) ص٢٠ نظرية الأجناس الأدبية تزفيتان تودورف

وارتبطت الموشحات بالأندلس، لتترك إرثًا كبيرًا من هذا الفن، ثم ظهر فن الرواية والقصة القصيرة والقصيرة جدًا والنثر والومضة وغيرها من الفنون الأدبية التي انبثقت من رحم السرد بملامح مختلفة ومواكبة للعصر الحديث، كالرواية الرقمية والتفاعلية.

وحتى وقت قريب كان الكُتّاب العرب ملتزمين بتلك الأسس التي وضعها أرسطو لتصنيف الأدب.

وقياسًا على ما قدمه كاتبنا السيد حافظ في سباعيته، نجد أنه زاوج ومزج أجناسًا أدبية متعددة في داخل نسيج رواياته المنفصلة المتصلة، ليحيك بذلك نسيجًا أدبيًا متفردًا تنتقل عبره عيون القارئ برشاقة وبساطة دون تكلف في التعبيرات أو تعقيد المصطلحات، في إطار قصة أو حكاية تنبثق منها العديد من الحكايات في الزمان المعاصر وفي أزمنة غابرة.

إهـــداء

إلى أستاذي وأبي الروحي الكاتب المتفرد المغرد دائمًا خارج السرب ولم يكل صوته الشامخ ولم يفقد عزيمته وصموده الأستاذ السيد حافظ.

وإلى كل قلم حر يحلق نحوالنور متحررًا من الأُطر التقليدية وقضبان النمطية.

الأجناس الأدبية
في رواية السيد حافظ

وبما أننا هنا بصدد عرض رؤية وقراءة لهذه السباعية فقد وجب علينا المرور على كل رواية بصورة منفردة، ثم تقديم عرضًا شاملاً في النهاية.
إذ نلاحظ أن طريقة السرد والتقديم في كل جزء تختلف بنسبة ٨٠ % كما ذكر الكاتب نفسه.
فهيا بنا عزيزي القارئ نبدأ رحلتنا..

رواية قهوة سادة قهوة زيادة

يقول ميلان كونديرا:
"إن روح الرواية هي روح التعقيد. كل رواية تقول للقارئ: (إن الأشياء أكثر تعقيدًا مما تظن) إنها الحقيقة الأبدية للرواي، لكنها لا تُسمع نفسها إلا بصعوبة في لغط الأجوبة البسيطة والسريعة التي تسبق السؤال وتستبعده."[١]
وإذا ما نظرنا إلى رواية قهوة سادة قهوة زيادة نجد السيد حافظ قد مزج الماضي بالحاضر والمستقبل في لوحة واحدة، مستخدمًا العديد من الأساليب الفنية للكتابة كأساليب الاستباق والاسترجاع متنقلًا بين العصور في سلاسة وانسيابية متخطيًا العوائق الزمكانية، مُستخدمًا جميع الشخصيات كعرائس الماريونيت على المسرح لتؤدي الدور المنوط بها بكل هدوء ودون فقدان روح التشويق والإثارة.
وبالرجوع إلى بنية الرواية نجد أن الكاتب السيد حافظ قد بدأ بالتنويه عن السباعية وذكر أسماء الأجزاء السبعة بالترتيب، مما يؤكد أن الفكرة لم تأتِ بالصدفة، ولم تكن

(١) ص ٢٥ فن الرواية للكاتب ميلان كونديرا

وليدة الظروف والأوضاع السياسية، بل كانت هناك رؤية واضحة وفكرة تجمعت خيوطها الأساسية في عقل وروح الكاتب، وما تبقى سوى نقل هذه الرؤية من حيز خيال المبدع إلى عقل وروح المتلقي.

ثم يعود الكاتب ويذكّر القارئ لافتًا نظره إلى عدة إرشادات لكي يخوض المغامرة بأمان، ويستخلص منها ما طمح إليه الكاتب، فيوضح الكاتب أسلوب السرد الذي اختاره وهو أسلوب المسررواية، ويوضح لنا في لمحة سريعة تعريف المسررواية وأول من استخدم هذا الأسلوب من الكتاب "على استحياء" كان توفيق الحكيم في رواية بنك القلق وكذلك يوسف إدريس في رواية نيويورك ٨٠.

هذا الكاتب "السيد حافظ" الذي أدخل المسرح التجريبي في الوطن العربي وكان رائده، وأبدع منذ مطلع السبعينيات في كتابة أعماله المسرحية، وبالطبع حين يقتحم عالم الرواية فلن يكون ولوجه فيه عاديًا مثل الآخرين.

ويجب أن يضع لمساته المسرحية ليمنح الرواية روحًا وشكلاً جديدًا لم يعهده القارئ من قبل.

ثم يكمل الكاتب ملاحظاته فيخبرنا أن هذا المشروع منفصل متصل، لذا وجب عليك أيها القارئ أن تستعد لرحلة ممتدة فصولها، يكون زادك فيها الوعي والإدراك وفهم لغة

الإشارات والإسقاطات، فلن تجد كل الإجابات ولن تكون رحلتك مجرد قطف لباقة أزهار من هذه الروضة، ولكنك ستحتاج إلى الوقوف كثيرًا في عدة محطات لتجيب فيها على ما يطرحه الكاتب من تساؤلات.

ثم يحذرنا السيد حافظ من سلسلة المفاجآت التي تنتظرنا وسيول المعلومات والحقائق التي لم نعرفها من قبل، بل وستقلب كل ما عرفناه من تاريخ قديم موثق رأسًا على عقب.

فكل ما عليك أيها القارئ أن تتخلى عن كل معلوماتك السابقة وأن تتحلى بالصبر والفهم والوعي الكافي لتصحيح كل ما مّر عليك من قبل.

وأما ما أعجبني شخصيًا هو ذلك التنويه البسيط في نهاية قائمة الملاحظات والذي يذكر فيه الكاتب أن هذه هي الطبعة الثانية، وأن الطبعة الأولى قد صدرت منذ خمس سنوات منوهًا أن بعض التغييرات والتعديلات قد طرأت على هذه النسخة.

فالكاتب المبدع بحق ذاك الذي لا يقف سقف طموحه عند حد ولا يكتفي بعلم أو معرفة، ويمتلك الشجاعة على تعديل ما سطرته أنامله حين يزداد علمًا وقراءة..

قسّم الكاتب الرواية إلي جزئين رئيسيين:

الجزء الأول : قهوة سادة

الجزء الثاني: قهوة زيادة

ثم قسم كل جزء إلى عدة فصول اختار عناوينها بدقة وعناية..

ومن هنا كانت العتبة الأولى للنص:

خمسة وعشرون فصلًا متتالية، رغم أن الكاتب قسّم الرواية إلى جزئين رئيسيين إلا إنه اختار تتابع الفصول ومزج عناوينها ما بين الحاضر والماضي؛ فبدأ بعنوان "عشق لا يعرف الانتهاء" وأدرج تحته بدايات الحكاية من الشام بحكاية سهر، وكلمات شهرزاد لها بأن الجمال ربما يكون سر الابتلاء وكاظم وأحلامه الضائعة عن الوطن وأن حبه له سر بلائه.

ويأتي الفصل الثاني ليحكي عن فتحي رضوان تحت عنوان "ليت لي ألف عين" وتتوالى العناوين التي تبوح مرة بأسرار الرواية ومعاناة أبطالها، وأحيانًا تفصح عن مكنونات روح كاتبها ومعاناته الشخصية من أهل الأدب والفكر وتجاهلهم أو مهاجمتهم لإبداعاته كما هو عنوان الفصل الثالث "الكتابة الجميلة جريمة وغريبة"، الفصل السابع "هذا وطن الأحزان"، الفصل الحادي عشر "كنا نحلم بوطن أجمل"، "وطن بلا أجنحة"، وتتوالى العناوين التي تمتلئ

بالشجن وإحساس الاغتراب في أحضان الوطن.

ونعود لأحداث الرواية حيث تبدأ بحدثين منفصلين في بلدين بعيدين في المكان ولكنهما متشابهان في الأيديولوجيات والرؤى، في سوريا البطلة سهر سالم، وفي مصر البطل فتحي رضوان خليل "الذي وصفه الكاتب _حبيب سهر في المستقبل_".

يبدأ الفصل الأول على سهر وانطلاقها من مرحلة الطفولة إلى سن البلوغ لتبدأ رحلتها في الحياة بنظرة جديدة وسلة طموحات وأحلام خارج حدود الوطن؛ فلم تعد الأوطان تحمل لنا ما نتمناه ولم تعد حدودها تتسع لتحليق طيور أحلامنا..
وهنا يدخل البطل الرجل من سوريا "أستاذ كاظم" أو كما ستفاجئنا الأحداث التالية النسخة السورية من فتحي رضوان، حيث يقارن بين أوطاننا التي ضاقت بأحلامنا ، واسرائيل "أرض الميعاد" التي دعت أبناءها المشتتين في بقاع الأرض بالعودة لتحقيق أحلامهم ومنحهم وطنًا وحضنًا وملجأً..
وفي ذات الوقت في مصر كان فتحي رضوان يتجرع آلام الهزيمة بعد نكسة ١٩٦٧ مثل الكثير من الشباب في تلك

الفترة، الذين تحطمت أحلامهم، وانهار المستقبل في عيونهم وفقدوا الإحساس بالوطن.

ثم تتكشف حكاية فتحي رضوان وارتباطه بالخيبة والهزيمة، دون أدنى ذنب منه، فقد ولد في عام ١٩٤٨ "نفس يوم استشهاد البطل أحمد عبد العزيز".

وهنا يبدأ الكاتب في سرد أحداث استشهاد البطل أحمد عبد العزيز، ثم ينتقل إلى أحداث الهزيمة في ١٩٦٧ مرة أخرى.. سلسلة من الهزائم فكيف يتحملها قلب وروح صبي يتلمس طريق الأمل؟

وتجدر الإشارة إلى أمر هام جدًا وهو رصد ردود الفعل لدى الآباء والأسر العربية مهما اختلفت ثقافتها أو مكانها تجاه بلوغ الأبناء، فنجد رد فعل الآباء تجاه بلوغ الأولاد هو الفرحة والشعور بالفخر على عكس ردود فعلهم تجاه بلوغ البنات الذي يُلقي بظلاله غيمة من القلق والتوتر لا تنتهي إلا بزواج البنت والتخلص من هذا العبء، فالبنت دائمًا عند الأسر العربية " ضيفة" يترقب الجميع حلول موعد رحيلها إلى بيت زوجها والتخلص من هذا الضغط النفسي الذي خلقته وجهة النظر الشرقية للأنثى وألصقته بها.

ونعود لأحداث الرواية، فنجد أن الكاتب يتنقل بين حقب زمنية مختلفة؛ فتارة تجده يحكي عن مرحلة صبى فتحي

وسهر، ثم ينتقل بالسرد لفترة شباب فتحي، وفجأة تجد الحديث انتقل إلى زمن أبعد.. زمن الغزو العربي لمصر أو الفتح الإسلامي في زمن عمر بن الخطاب ووصف عمرو بن العاصر لمصر، ليعود وينتقل إلى العصر الحديث ووصف جمال حمدان لشخصية مصر..

نعم فالكاتب "السيد حافظ" مغرم ومهموم بمصر وكل ما يتعلق بها وهي بطلة رواياته الحقيقية وجميع الشخصيات والأحداث الأخرى تدور من حولها.

ومن خلال شخصية فتحي رضوان يجسد حكاية كل شباب هذا الجيل.. جيل النكسة والانهزامات، جيل ضاعت أحلامه وتشتتت؛ فلم يعد يدري ماذا يريد.

وحين تنهار أحلام الشباب ويفتقدون المثل والقدوة يتخبطون ما بين الغريزة والثورة ..

فالغريزة هنا هي مجرد مجال للتنفيث عن الضغوط والإحساس بالتمرد والقوة، حتي وإن كانت معركة وهمية يتمرد فيها على العادات والتقاليد ولا يشغله كثيرًا فكرة الحلال والحرام؛ فالحرام وجوهه كثيرة أقربها للتفكير وربما أيسرها الجنس والعلاقات الجسدية، ولكن إذا ما فكرنا قليلاً وجدنا أن الجميع انغمسوا في المحرمات ما بين نفاق وكذب وسرقة وخداع وفساد.

وأما سهر فهي مثال للوطن بكل براءته وفطرته الأولى تتفتح له الأزهار وتحلق حوله الطيور وتسكن حضنه العصافير، إنها الأرض البكر التي لم تتلوث بالفساد والضغائن ولم تعرف أرضها المؤامرات والشرور.

ولكن يطمع الجميع فيها ويود اغتصابها .. رغبة التملك التي تعمي العيون، وتقتل البراءة في القلوب وتطمس في الروح النور.

فهل ما زالت الأوطان محتفظة ببراءتها وفطرتها الأولى؟

سؤال سوف تتجلى إجابته في الأجزاء التالية..

مصر أم الدنيا أم أبوها ؟

ليس مجرد عنوان للفصل الثاني عشر، وإنما سؤال يطرحه الكاتب على لسان فتحي رضوان، وكأن المعضلة هي تذكير الوطن أو تأنيثه.. فهل هناك فرق؟

نعم.. هكذا يري الكاتب ويفسر لنا الفرق في محاولة لإيجاد ألف عذر لقسوة الوطن على أبنائه وطرده وتشتيته لهم..

ويعود الكاتب إلى المرجعية التاريخية ليبين لنا سبب تسمية مصر بهذا الاسم ..

وتظهر في الأحداث بعض الشخصيات الأخرى منها شخصيات عابرة أراد بها الكاتب وصف العلاقات بين طوائف

الشعب المختلفة في مصر، وبعضها ممتدة قد تكون مؤثرة أو ضرورية في مواقف محددة.

ولكن التوازن بين قوى الخير والشر موجود بشكل لافت.

فنجد شخصية شهرزاد وتقابلها شخصية الميثاء، وكذلك سالم والد سهر وتقابله شخصية بسام والد وردة.

وشهرزاد ليست مجرد شخصية عابرة، بل هي مفتاح لبوابات تنقلنا لحكايات أخرى وعوالم مختلفة، تحكي فيها لسهر عن أرواحها الممتدة عبر الزمن، وكذلك تنقل وتصحح لنا الكثير من الأحداث التاريخية المغلوطة كما سيظهر في الأجزاء التالية.

تمثل شخصية شهرزاد بُعدًا هامًا في حياة الشخصية العربية، وهو الميل إلى عالم الخيال والخرافة والقصص القديمة التي تحمل من التشويق والإثارة ما يشبع رغبة الكثيرين في تخطي حدود المكان، وهزيمة الزمن وكسر حواجزه التي تعوق الخيال.

فلا يوجد من لم يستمتع بقراءة ألف ليلة وليلة، ومن منا لم يجلس في هدوء ليستمع لحكايا الجدات وقصصهن الخرافية التي ما زالت تعلق بأذهاننا حتى يومنا هذا؟

اختار الكاتب عقيدة تناقل الأرواح عند المذهب الدرزي لتكون بوابة الزمن التي ننفذ من خلالها لعصور ولّت

ونكشف أسراراها.
وهنا ينتهي الجزء الأول "قهوة سادة"
ليبدأ الجزء الثاني من أول رواية " قهوة زيادة" على حكاية إخناتون الذي يعتقد الكثيرون أنه كان نبيًا، وأول من دعا إلى الوحدانية في مصر، ونبذ تعدد الآلهة الذي عرف في ذاك الوقت.
وذلك من خلال حكاية "نفر" روح سهر الأولى وتجري الحكاية على لسان شهر زاد.
وهنا ينقلنا الكاتب لبعد زماني ومكاني بعيد، ونعيش معه في أجواء أسطورية يرسم لنا فيها حياة قدماء المصريين وارتباطها بالنيل، وهيمنة الكهنة على الملوك وتدخلهم في كل أمور الدولة.
وفي تداخل غريب بين الأمس واليوم تتشابه الأحداث وكأن الأيام تدور وتعود، ربما بشكل آخر لكنها تتشابه في الواقع.
وتنتهى الأحداث باختفاء إخناتون بعد تآمر قائد الجيش والكهنة عليه.
في إشارة توحي بتشابه الأحداث مع ثورة ١٩٥٢ حين انقلب الجيش على الملك، ولم تكن ثورة شعب كما بدت.. وسوف يتجلى ذلك في أحداث الأجزاء التالية.
نعود إلى النمط الروائي وأسلوب التداخل الذي اختاره الكاتب

فنجد أنه قد استخدم بعض الأشعار لجبران خليل جبران ونزار قباني وكذلك بعض المقطوعات النثرية على لسان كاظم وفتحي ولكن الحدث الأبرز في الرواية كان مشهدًا مسرحيًا كاملاً تحت عنوان "ليلة اختفاء إخناتون" أنهى به الكاتب الرواية ، واستغنى فيه عن دور الراوي وقدم عرضًا متكاملاً شاركت فيه عدة نساء مثل نفرتيتي والملكة تي وميريت .

إضافة رائعة ، فلم يكتف الكاتب بالحوار الرائع المتكامل بين أبطال الرواية ليقدم نصًا مسرحيًا داخل الرواية مكملاً للأحداث.

خطوة جريئة ولكنها ليست غريبة من مبدع اعتاد السباحة عكس التيار.

ثم ينتهي الكتاب بدراسات نقدية تناولت العمل بكل موضوعية لكبار النقاد.

ونعود لروضة النص الروائي في محاولة لتفكيك رموزه واستقراء مكنوناته واستنطاق خفاياه.

وما يلفت النظر اهتمام الكاتب بمناجاة النفس..

هذا الأسلوب الذي يكشف لنا خفايا كل شخصية ويبرز نقاط قوتها وملامح ضعفها، ومن خلاله نتعرف على شخصيات السباعية الرئيسية.

ونبدأ بشخصية كاظم فنجده اعتاد الكتمان وعدم البوح بما يجيش في صدره من مشاعر تجاه سهر..

وها هو يقول:

"آه يا سهر.. لا تتركيني بين ظنوني القاتلة.. أنا قلبي عصفور يطرب كل الطيور، ولكن اللحن من قلبك أنت وروحك أنت وعطرك أنت.. غيابك موت بطئ.. لا تتركي ظنونك تهشم أحلامنا؛ فأحلام العشاق أجنحة الفراشات وجناح الظنون نار تحرق قلوبنا..

سيدتي أنتِ.. أنا أهزم كل الأشياء إلا الظن والشك فهو يبيد كل الفرسان والبشر.. أحبك نعم، وأنا عصفور وأنا قلب عصفور لا أحتمل الظنون."[١]

وتتوالى مناجاة كاظم دون أن يقدر على المواجهة أو البوح لها بما يوشك أن يغرقه من طوفان مشاعر اختزلها لسهر وحدها دون جميع النساء.

فيقول: "آه يا سهر.. لا تبقي بعيدا ففي فؤادي وردة منك، ذبلت عيون الرجال من البكاء في عشقك.."

ثم يقول: "أحبك في الدقيقة بعدد دقات قلوب نساء الأرض؛ فاجمعي واطرحي واقسمي عددهن في بقاع الأرض.."

---

(١) ص١٨ رواية قهوة سادة قهوة زيادة

وها هو يتماهى في العشق فيقول: "آه يا سهر.. ثلاثة حروف نسيتها حين عرفتك (ألف نون ألف)"

وها هو يقول: "آه يا سهر.. ألقيت عليك حرفين من حروفي.. صرتِ حبي.. ألقيت عليكِ ثلاثة أحرف صرتِ عشقي.. ألقيت عليكِ أربعة أحرف صرت هيامي.. ألقيت عليكِ خمسة أحرف صرتِ جنوني.. ألقيت عليكِ ستة أحرف صرتِ وجودي.."(١)

ويعود كاظم مرة أخرى يسائل نفسه باللهجة العامية الشامية حين كان يبحث عن بقايا رائحتها على ثنايا كراستها ويقول: "معقول أنا أعمل هيك؟.. معقول أنا أعشق تلميذتي؟ أنا في مدرسة البنات وهي حدائق الحب المعلقة وبها ورود من كل لون وطعم ورائحة.."

وأما فتحي رضوان فيبدأ ظهوره في الرواية بهذه المناجاة: "كنت أسكر وأغني حين أسمع كلمة وطني، والآن أبكي عليه كلما قرأت عنه ونبشت في ذاكرة التاريخ.. الخطيئة أن نخاف الحب.. لم يعد موج بحر الإسكندرية يكفي غسل أحزاني.."(٢)

فها هو الكاتب هنا يصف لنا البطل فتحي رضوان في لمحة

---

(١) ص ٨٥ رواية قهوة سادة قهوة زيادة
(٢) ص ٢٩ قهوة سادة قهوة زيادة

سريعة هذا العاشق للوطن بجنون، وبقدر عشقه للوطن يتألم لخيانته وسوء أحواله..

وفي حين آخر يقول: "وحين أرغب أن أناديك بلادي.. أناديك بلائي.."(١)

ثم يقول: "آه يا ابن رضوان أين تذهب في تلك الدروب؟؟ النكسة يعني هزيمة.. تعني الحقيقة.. لا جيش لدينا نحن العرب.. جيش مصر وسوريا والأردن والعراق كله وهم.. وهم.. وهم.. لا مفر.. أنا من ضيع في الأوهام عمره.. عام ١٩٦٧ فارق.."(٢)

ويقول: " مر قلبي في شوارع الحب لم يجد اسمه ولا عنوانه.. هل الحزن خطف ذاكرة الحب من قلبي؟ أم أنت حبيبتي أخفيت عنوانك وعنواني؟.."(٣)

ثم يقول مرة أخرى: "أنا المسئول عن النكسة.. أنا كنت خطيبًا في الجامعة، وأنا رئيس اتحاد الطلبة.. مصر عبدالناصر قوة عظمى وجيشها أعظم الجيوش.. مصر التي في خاطري ليست مصر المهزومة المأزومة الآن.. مصر المنحوسة بالهزائم.. مصر المحروسة بأهل البيت.. مصر

---

(١) ص ٦٢ قهوة سادة قهوة زيادة
(٢) ص ٩٢ قهوة سادة قهوة زيادة
(٣) ص ١٠٣ قهوة سادة قهوة زيادة

المحظوظة لكل من حكمها وسرق مالها..[1]"
إن الكاتب هنا يصف الأزمة التي عاشها جيل الستينيات وهزيمتهم الداخلية التي تولدت بسبب هزيمة الجيش في ٦٧ رغم عشقهم وولعهم بعبد الناصر وتقديسهم له، إلا أنهم عاشوا حالة من التناقض والشتات بين حبهم له وبين إحساس الهزيمة الذي تسبب فيها جيشه كما أحسوا به.
أما سالم والد سهر فنجده مهمومًا بحماية النساء منذ أنقذ زوجته من الجنود الفرنسيين وحماها قبل أن يغتصبها أحدهم بعدما عاثوا في القرى والمدن التي دخلوها، وها هو مهموم ببناته سهر وسوسن يحلم ببوادر الراحة حين تتزوجا..
فيقول: "آه كبرت بناتك.. وأصبحت في ملقى الرجال وطلباتهم لبناتك..هذا معناه أنك في خطر آخر يجب أن تعمل حسابه، وأن تكون فطنًا، وإلا غاب عنك الأمان.. عيناك على البنات، على الأرض، على السوق، على الغلاء، على القرية، على الماضي والحاضر.."[2]
وأما شهرزاد فنجدها طوال الأحداث روحها متعلقة بسهر، تذكرها بشبابها وبراءة روحها قبل أن تصقلها الحياة

---

(١) ص ٧٥ قهوة سادة قهوة زيادة
(٢) ص ١٢٥ قهوة سادة قهوة زيادة

بتجاربها القاسية..
فتقول: "آه يا سهر لو تعلمين كم أحب؟ يا بنت روحي يا من أرى نفسي فيها.."[1]

المونولوج الداخلي

هذا الأسلوب الذي تلجأ إليه الشخصيات حين تخشى مواجهة الطرف الآخر أثناء الحوار وتأبى الإفصاح عن كل ما يدور بخاطرها، فتؤثر كتمان البوح وتبقيه في تلابيب روحها.

ونجد في رواية قهوة سادة الكثير من الأمثلة نذكر بعضها..

حيث نجد وردة تعجز عن الإفصاح لوالدتها بما يجيش في صدرها من ولع تجاه كاظم أستاذها، فيقول الكاتب:

"قال قلب وردة: الحب يا أمي كلمة ليست في قاموسك أحيانًا تبيع النساء قلوبهن له بدلا من أن تمنحه للأزواج، لأن الأزواج غالبًا ليسوا عشاقا ولا أحبابا بل أزواجا."[2]

وها نحن نجد كاظم يفصح عن شعوره الداخلي حين تداهمه وردة وتتحرش به أثناء 'جباره على إعطائها الدرس، فنجده يقول في داخله: "لا أحد ينتظرني في البيت، لا أحد أشتري له زهورًا.. لا أحد يشرب القهوة معي أو يغطيني في المساء وأنا أرفس الغطاء.. لا أحد يبتسم لي في الصباح.. لا أحد

---

(١) ص ١٣٨ نفس الرواية
(٢) ص ١٤٣ نفس الرواية

يسمع الأغاني معي ويلملم أوراقي وأحلامي وأحشائي وجحيمي وأشجار حناني ويكوي سروالي ويغير مفرش وسادتي ويجهز مصحفي ونسكافيه باللبن وحبري وأوراقي وثيابي.. لا أحد يجمع الحصاة التي يلقيها البلهاء على كتاباتي.. لا أحد.. لا أحد.. ليس لي إلا الواحد الأحد."(١)

كذلك نجد اللقاء الأول بين نفر والمعلم باكا، حين تتعثر قدمها وتسقط على الأرض فيساعدها على النهوض..

ويهمس بيه وبين نفسه قائلًا: "كأنك أيتها الأنثى.. صدى الروح في الحلم.. كأنك أغاني النيل حين يتنهد على صدر النساء، كأنك ومضة تسللت إلى الحشا.."(٢)

بينما يجيش في صدر نفر حديث عن باكا حين أحست بذراعي باكا وهي تحملها عن الأرض فتقول لنفسها: "أي ريح في أنفاسك أيها الشاب الاسمر؟ أي لغة في عينيك غير اللغة الهيروغليفية كأنها لغة غير لغات كل البشر.. لقد لمس إصبعك كتفي ونهدي الأيمن وأنت ترفعني لأعلى.. إلى أين ترفعني في أي سماوات وأي أفق؟؟ إلى أين ترفعني وتأخذني عيناك؟"(٣)

---

(١) ص ١٥٧ قهوة سادة قهوة زيادة
(٢) ص ١٨٣ نفس الرواية
(٣) ص ١٨٤ قهوة سادة قهوة زيادة

الاقتباس من القرآن الكريم

وننتقل إلى أسلوب آخر وهو الاقتباس من آيات القرآن التي دعّم بها الكاتب زوايا السرد فصارت جزءًا من نسيجه وأضفت عليه نفحة روحية وعمقًا أكثر.

فقد بدأ الكاتب الرواية بهذه الآية القرآنية من سورة الإسراء: "ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا."(١)

وهي استهلال يشكل في حد ذاته أسلوبًا استباقيًا للأحداث.. سوف نفصل شرحه فيما بعد.

اقتباسات من الشعر

كذلك استخدم الكاتب الاقتباس من الشعر فمثلا استخدم أبيات جبران خليل جبران في بداية الفصل الثاني:

"ليت لي ألف عين
ترى كل ما يعرض على الوجود
من عجائب وطرائف،
وليتني أبقى تائقا إلى مرأى
ما خفي عني

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٥

ومكنونات.."[1]

ثم نجد أبياتًا أخرى للشاعر الكبير نزار قباني نظمها بعد نكسة ٦٧:

أرغمني جندك أن آكل من حذائي

يا سيدي..

يا سيدي السلطان

لقد خسرت الحرب مرتين

لأن نصف شعبنا.. ليس له لسان

ما قيمة الشعب الذي ليس له لسان

لأن نصف شعبنا..

محاصر كالنمل والجرذان..

في داخل الجدران..

لو أحد يمنحني الأمان

من عسكر السلطان..

قلت له: لقد خسرت الحرب مرتين..

لأنك انفصلت عن قضية الإنسان..[2]

ولعل أبلغ مثال استخدمه الكاتب معبرًا عن الحالة السائدة في الشعوب الفقيرة التي يطمح أبناؤها في الثراء عبر بلاد

---

(١) ص ٢٨ قهوة سادة قهوة زيادة

(٢) ص ٧٠ قهوة سادة قهوة زيادة

النفط، فنجده يذكر أبياتًا من قصيدة الشاعر نزار قباني "آخر عصفور يخرج من غرناطة" ويقول فيها الشاعر:

النفط يستلقي سعيدا تحت أشجار النعاس
وبين أثداء الحريم
هذا الذي قد جاءنا
بثياب شيطان رجيم
النفط هذا السائل المنوي
لا القومي
لا العربي
لا الشعبي
هذا الأرنب المهزوم في كل الحروب
النفط مشروب لأباطرة الكبار
وليس مشروب الشعوب..
كيف الدخول إلى القصيدة يا ترى
والنفط يشري ألف منتجع بماربيا
ويشري نصف باريس
ويشري نصف ما في نيس من شمس وأجساد
ويشري ألف يخت في بحار الله
يشري ألف امرأة بإذن الله
يشري ألف غانية لعوب

لكنه..

لا يشتري سيفًا لتحرير الجنوب..(١)

المفارقات الزمنية.. الاستباق والاسترجاع

وأما عن استخدام الكاتب للأساليب المختلفة للسرد فنجد كما ذكرنا استخدامه أسلوب الاستباق: هذا الأسلوب الذي يذكر فيه الكاتب معلومات أو يلوح بإشارات عما سيرد ذكره في الأحداث التالية كما جاء في ذكر الآية الكريمة من سورة الإسراء التي تتحدث عن الروح، ثم تأتي شهرزاد فيما بعد لتحكي لسهر عن أرواحها السابقة في شكل أسلوب الاسترجاع..

كذلك استهل الكاتب الحديث عن فتحي رضوان بجملة "حبيب سهر في المستقبل" ثم يعود بالتاريخ إلى نكسة ٦٧ ويقفز مرة أخرى إلى عام ٧٣ حين كتب فتحي رضوان خطابًا إلى ناهد حجازي قائلًا: "عذرًا سيدتي.. ماذا أكتب عن حرب أكتوبر ١٩٧٣؟..

رأيت الوطن يضاجع الفقراء ويقدمهم ضحايا وشهداء في سيناء، وعندما انتصروا ترك لهم سرواله الداخلي ليصنعوا منه أوسمة وشهادات تقدير وأعلام أما الأغنياء جلسوا على

(١) ص ١٦٨ قهوة سادة قهوة زيادة

عرش مصر وباعوها لكل الغرباء باسم الانفتاح والانفشاخ والخصخصة والمصمصة.."[1]

المسرحية

ثم يغوص الكاتب لأبعد من ذلك فيصل بنا لعصر مصر الفرعونية في زمن إخناتون ولكن بطريقة أخرى في السرد على شكل المسرحية، ليختم الرواية بنص مسرحية "ليلة اختفاء إخناتون"

" إن فن المسرحية من أكثر فنون الأدب استعصاء على كاتبه، وأشدها حاجة إلى مهارة فنية خاصة تستطيع أن تؤلف بين عناصر هذا الفن المتشعبة من قصة وممثل ومسرح وجمهور وحوار، وأن تخضع في غير افتعال لقيود المسرح والتزاماته، وأن تتعاون كل هذه العناصر في غير تضارب أو تنافر حتى يصل الكاتب إلى عمل فني متكامل متناغم."[2]

ونحن هنا لا نتحدث عن روائي مخضرم استخدم أساليب جديدة في السرد الروائي في شكل منمنمات من الشعر والفن والقصة القصيرة والقصيرة جدًا في داخل نسيج روائي متكامل ولكننا لا يمكن أن نغفل أنه رائد من رواد المسرح

---

(١) ص ٢٩ قهوة سادة قهوة زيادة
(٢) ص٤١ دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن د. محمد زكي العشماوي

ومؤسس المسرح التجريبي في مصر والوطن العربي، يكتب ويخرج للمسرح يرسم الشخصيات فتبدو على الورق من لحم ودم تتحرك بيننا وفي داخل أرواحنا، ولهذا فليس من المستغرب أن يستخدم أسلوب المسررواية التي يخشاها الكثير من الروائيين ويتجنبون استخدامها خوفًا من تشتت القارئ أو ضياع فكرة الكاتب نفسه.

ولكننا هنا نجد الكاتب يستخرج من التاريخ بعض الشخصيات واالأحداث التي تشكل علامة فارقة والتي تتناسخ أحداثها مع أحداث في الوقت الحاضر أو في حاضر الرواية الأصلية.

سلسلة من الأحداث المترابطة، وكأن الأرواح تتنساخ عبر التاريخ، ليست فقط أرواح سهر كما تحكي شهرزاد ولكن أرواح بقية الأبطال.

كابتشينو

تبدأ الرواية الثانية بعنوان فرعي "الحكاية الثانية "
"حكاية الروح نور ومحب وموسى "
وتكون العتبة الأولى للنص هي كلمات الكاتب:
"الرواية كائن حي يتطور يتغير مثل كاتبها .. وما دام الكاتب حيًا ففي كل طبعة جديدة عليه أن يطورها ويغيرها مثلما تغير.. واذا مات تركها أرملة طروب لا ترتدي ملابس الحداد أبدًا .."(١)

الكاتب السيد حافظ

بالفعل استهل الكاتب روايته كابتشينو بما نوهنا عنه في بداية الرواية الأولى .. أن الكاتب المبدع المتطور هو الذي يضيف ويغير في كل طبعة لنفس العمل حسب التطور المعرفي والانفتاح على عوالم وتجارب جديدة ربما لم يكن قد اختبرها قبل كتابته للعمل في مراحله الأولى، وهذا درس هام يقدمه الكاتب لكل كاتب مبتدئ يريد أن يتعلم .
ونبدأ في رواية كابتشينو مرحلة جديدة للبناء الروائي أو

(١) ص ٥ كابتشينو- السيد حافظ

الشكل العام لرواية السيد حافظ الجديد كلياً ..
وأول ما يلفت الأنظار "الحاشية" التي تشارك النص الأصلي في العمل، فهي ليست مجرد تفسير وتوضيح لكلمات قد تخفي معانيها على القارئ ولكنها تمتد لعمق أبعد..
فنجد الكاتب من الصفحة الأولى يبدأ بالكتابة عن شهرزاد.. فيقول : " كلما سمعت اسم شهرزاد خطفني الخيال إلى امرأة جميلة ذات خمار وسحر وجوار.. تنتظرني في مخدع من حرير وتقف من بعيد الوصيفات من دوريات جميلات، ويقوم هو من النوم ويتجه ناحية الفضاء بحثًا عنها .."
وكان الكاتب يتحدث بلسان شهريار وينقلنا ببضع كلمات إلى مشهد مسرحي جميل تتسلط فيه الأضواء على مخدع من حرير تتوسطه الجميلة شهرزاد ومن حولها الوصيفات..
ومع انفراط حبات سبحة السرد المتقن والحوارات المدججة بأحلام الشباب في الهجرة خارج حدود الأوطان بعدما صارت من حولها سجنًا، نجد الحاشية تسير في خط متوازٍ مع الأحداث ولكنها يوميات الكاتب نفسه بعد أن كان طائرًا يحلق خارج الأسوار، ثم عاد يسرد يومياته داخل حدود أسوار الوطن بكل سلبياته التي تحاصر أحلام الجميع بمن فيهم الكاتب ذاته.
وتجدر الإشارة أن يوميات الكاتب ليست مجرد يوميات

عادية أو تذمر من ظروف شخصية ، بل هي تنويه ومحاولة لإلقاء الضوء على تهميش دور الكاتب وعدم الاهتمام الكافي به من أجهزة الدولة، وعدم التقدير بالشكل الذي يستحقه من خلال بعض المواقف والأحداث.

وما زال الكاتب يكتب في خطين متوازيين حكايات سهر في الشام وفتحي رضوان في مصر وتشابه الظروف السياسية والاجتماعية بين البلدين.

وتفتح شهرزاد بوابة الزمن على مصر، وحكاية جديدة من حكاياتها وتختار هذه المرة مصر في عهد سيدنا موسى وحكاياته مع فرعون وحكاية "نور" روح سهر الثانية وقصتها مع "محب" القائد المصري.

وهنا يتطرق الكاتب إلي حكاية اليهود في مصر في زمن فرعون قبل هروبهم مع موسى عليه السلام..

ويكشف لنا الكثير من الحقائق التاريخية التي ينكرها البعض والبعض الآخر يتجاوزها دون الدخول في التفاصيل.

ونعود لفكرة سيطرة رجال الدين على الحكم، وتوجيه الحاكم للسيطرة على الشعوب وإرضاخها من خلال هامان وزير ومساعد فرعون..

وبينما تغوص سهر في حكايات مصر القديمة الفرعونية، يغوص فتحي رضوان في حكاياته مع مصر الشعبية من

خلال حكايات عمته مسعدة.
وفي هذه الرواية نجد الشكل السردي يختلف عن رواية قهوة سادة؛ فنجد كما ذكرنا الحاشية التي تتقاسم المشهد مع المتن، ونجد وقفات للكاتب يقدم فيها مقالات يقدم فيها لمحة عن بعض الفنانيين التشكيليين العرب، والمصريين بالطبع، ومنهم حليم حبشي، عيس صقر، ميسون الصادق، ريم اسكندراني وغيرهم...
وكذلك يقدم لنا قراءة لبعض اللوحات والأعمال التشكيلية وكذلك الحديث عن بعض الفنانين مثل الفنانة سعاد حسني، شادي عبد السلام، وبعض الكتاب مثل سليمان الفهد، وسليمان الشطي.
ولا عجب أن تكون معظم اللوحات التي تحدث عنها الكاتب لخيول بينما يشارك الفرس " برق " بطل حكاية نور ويصل إليها عن طريق شذاها الذي يمتد .. وكأن الكاتب يخبرنا أن هناك أرواح حولنا تمتلك من المشاعر أرقها وأصفاها وربما تضاهي في ذلك بعض البشر.
ولم تكن إضافة الكاتب لهذه الوقفات قد جاءت من فراغ؛ فهو هنا يخبرنا أن للفن روافد كثيرة، لكنها دائمًا تصب في مجرى واحد "الإبداع" ونهر الإبداع في الوطن العربي لا ينضب، ولكن هناك الكثير من السدود التي يقيمها محاربوا

الإبداع لإعاقته؛ فارتقاء الدول وتقدمها يأتي من ارتقاء شعبها، والشعوب ترتقي وتتهذب نفوسها عن طريق تذوق الأدب والفن.

اختار الكاتب كذلك بعض الوقفات الشعرية لشعراء من مصر والوطن العربي وكذلك مقتطفات من الشعر العالمي..

ثم اختتم الرواية بمسرحية " ليلة اختفاء فرعون موسى" عمل روائي متكامل يجسد أسلوب "مسررواية" ببراعة واتقان.

وبنظرة عامة على الرواية نجد أن المساحة التي خصصها الكاتب للأبطال الأساسيين سهر وفتحي رضوان لم تكن بنفس المساحة التي كانت في الجزء السابق " قهوة سادة.. قهوة زيادة"

ولكن الأحداث كانت أكثر تطورًا، فقد تحرر فتحي رضوان من أسوار الوطن بعد موت عبد الناصر، ودخول مصر في مرحلة الانفتاح في عهد السادات..

وهذا الحدث يمثل إشكالية كبيرة حدثت في مصر مع كل سلبيات نظام الانفتاح وتبعاته، وقد ربط الكاتب هذا الحدث بخروج موسى وقومه، وأطلق عنوان الفصل (٤١) الهروب من مصر في مقاربة بين هروب فتحي رضوان من مصر في عصر الانفتاح، وهروب اليعاقبة مع موسى عليه السلام من

فرعون.
لقد شكّل عصر الانفتاح معضلة كبرى لمثقفي مصر الذين لم يجدوا مكاناً لهم فجأة، وتغير سلوك المجتمع وأولوياته وصعدت على السطح طبقة جديدة ممن يمتلكون المال " نعم فهذه كانت السمة الوحيدة التي تميزوا بها " وخلاف ذلك لا شيء .. وصار المثقفون غرباء في وطنهم، فاتجه بعضهم نحو الخليج مثل فتحي رضوان وبعضهم هاجر إلى أوروبا وخاصة فرنسا، كما كان طموح فتحي رضوان الذي لم يتحقق..
أما في بلاد الشام فكانت وجهة الفارين من حزب البعث في سوريا والحروب الأهلية في لبنان إلى أمريكا اللاتينية وخصوصًا فنزويلا .. بلد الأحلام .. ولا عجب أن تجد الجالية الشامية هناك من أكبر الجاليات.
وقد انتشر مشروب " المتى " في بلاد الشام والمعروف موطنه الأصلي هو " أمريكا اللاتينية " والذي يشربه معظم أبطال السباعية في الشام وفي دبي، وكذلك في أزمنة أخرى سوف يرد ذكرها في الأجزاء التالية.
وتظهر تهاني زوجة فتحي رضوان المستقبلية في أحداث الرواية والتي سوف تمتد حتى نهاية السباعية وسنرى أثرها ومدلولات شخصيتها بوضوح في الأجزاء التالية.

وتنتهي الرواية الأصلية بعقد قران سهر ومنقذ، وتهاني وفتحي والرواية الفرعية "حكاية نور ومحب " باختفاء فرعون وجنوده ونجاة موسى وقومه.

والآن دعونا نستمتع معًا بلوحة الأجناس الأدبية المتناثرة على وجه الرواية لتمنحها المزيد من الألق والبهاء.
وقبل الدخول في الأجناس المختلفة التي استحضرها كاتبنا السيد حافظ دعونا نلقي نظرة على بعض الوقفات التي نسبر فيها أغوار شخصيات الرواية:

مناجاةالنفس

تبدأ أحداث الرواية بكلمات من نظم كاظم ينثرها في الفراغ ربما تصل لروح سهر فيقول:

"سيدتي لكِ الغرور..
ولي الحروف والنور
وأحيانًا أحن للسفر إلى عينيكِ وأسكنهما
وأتخذ قلبك وطنا.."[(١)]

---

(١) ص١٢ رواية كابتشينو

لتزيح لنا الستار عن مشاعر العشق التي يكنها كاظم لسهر، وتجاهلها لها، فهي لها أحلام أخرى وجناحاها يتوقان للتحليق في أفق أرحب.

ونجد فتحي رضوان يكتب مناجاته على شكل مقال:

"صدف البحر علمني الصبر
وجبين الفجر علمني الأمل
ما أجمل أن تظل متعلقًا بالأمل
ثمن الحب الصدق
الصدق تشعر به من الصوت الآخر
من القلب الآخر
وأنا على ضفاف المدن
أرحل من شارع الحنين إلى شارع العطاء
أرحل من مدينة الغربة إلى مدينة القلق
وهل يكفي المذبوح الصمت..؟
وهل يكفي المذبوح الصراخ..؟
وهل يكفي المذبوح الرقص..؟
ما دامت هناك السماء ورحمة السماء فالأمل واقع
والمذبوح يضمد جراحه
ولكل منا أزمة وسقطة نفسية ومشكلة كبرى
علينا أن نضمد جراحنا بالأمل

والسقوط بالارتفاع والمشاكل بالمواجهة
إن كلا منا مليء بالقدرات الخفية
فهل يا حبيبتي نمل الانتظار..؟
وهل نغفل دورنا في رحلة الإنسانية العظيمة؟
ليس هناك من شك أن رحلة الحياة
أروع ما فيها المحن والصمود والإرادة
يا إلهي يا عظيم
كيف لي أن أخرج من دائرة الظلمة للنور
والكون مظلم من حولي في عيون الجميلات
عذابي.. يا إلهي.. وفي عيون الأطفال أغنيتي
فاغفر لي حبي للنساء والفقراء وأطفال المستقبل"(١)

لا شيء أقسى من إحساس الغربة سوى الاغتراب داخل حدود الوطن، والهروب لا ينفع فالحنين يسيّج الروح ولا يبرحها، والألم يمزق القلوب الثكلى ويطرد من أوردتها الأمل..

أسئلة وجودية يطرحها الكاتب على لسان فتحي رضوان..
حين تطرد المدن أبناءها ماذا بقي لهم؟

---

(١) ص٤٩ رواية كابتشينو

أما شهرزاد فتقول لنفسها بعدما طرق بابها ليلًا أحدهم وسمعت صوت بكائه من خلف الباب:

"لن أفتح الباب.. هناك من يفتح باب داره فيلقى الجحيم، ومن يفتح باب قلبه لغريب فيلقى العذاب أشكالًا وألوانًا.."(١)

ثم تضيف: "أيها الخوف الكامن في أعماقي لن أجعلك تتمكن مني.. إنه الخوف يهزم النساء العازبات في المساء بلا خجل.. عرفت الآن أنه صوت هزيمة أحلامي المؤجلة.. لن أفتح الباب."(٢) وهذه الكلمات تعبر عما يجيش به صدر شهرزاد المرأة القوية التي يخشاها الرجال، وينحني لحكمتها الجميع ولكن ما زال بداخلها قلب رقيق يشعر بالحنين لحكاية مؤجلة.

كذلك نجد همسات محب القائد الفرعوني وهو يحدث نفسه عن نور الفتاة العبرانية التي قابلها:

"من أنتِ يا نور؟ هل أنتِ لي قدر مكتوب؟... هل أنتِ جنوني المسافر وعاد؟.. هل أنتِ أوراقي، وزهرة خبأتها من السنين في حنايا القلب؟.. هل أنتِ لحظة مضيئة تعد بألف سنة مما يعدون؟ هل أنتِ شجرة ميلاد لا تنبت أوراقها ولا تفوح إلا لحظة وجودي والحضور؟ أعرف الآن أنك تهيمين في قلبي

---

(١) ص٥٩ نفس الرواية

(٢) ص٦٠ رواية كابتشينو

دون آلاف النساء.. إني أجمع صفاتك من كل النساء ليستريح قلبي حين تغيبين."

ثم يقول متبعًا:

"ماذا بي؟ عندما سأقول أحبك سيحمر خد االقمر لا أعرف لماذا؟.. أعلم يا نور أنكِ فرسة برية خلقت من نور.. لو ملكتك ستزحفين على الأرض تتأوهين بحنين أغاني كل العاشقات والعاشقين، بدءًا من أغاني أخت قابيل أولى الجميلات من إناث الأرض حتى أنتِ.. متى يكف صمتك عن الصراخ في دمي؟[١]

إنه يلخص حالة القائد المحارب الذي لم يعرف العشق من قبل، وما إن التقى بنور أسره عبيرها وروحها المشرقة كنور الشمس التي لا تغيب وحين تودع السماء تسكن في دمائه فيحترق شوقًا وولعا.

أما نور فتقول لنفسها بينما تنظر من النافذة باحثة عن طيف محب:

"الصدق نبي في قلب كل منا.. منحة من الله لنا.. نحن البشر نحب البشر.. ونمارس الكذب في كل شيء الحب والعمل والكتابة والفكر..

---

(١) ص٨٨ رواية كابتشينو

حبيبي أنتظرك؛ فلقاؤك يستحق الغناء والعطر؛ فأنت ملاك وأنا أنثى النور.."[1]

نور هذه الفتاة الرقيقة التي عشقت الفارس المحارب الفرعوني، ولكنها تعلم أنها تسير في طريق مسدود؛ فكل الطرقات تبعدهما، ولا شيء يجمعهما.

ونجد نبي الله موسى عليه السلام يئن لهروبه من مصر بعدما أصدر فرعون الأمر بالقبض عليه وإعدامه..

"على الرغم من أني أنجو بنفسي من مصر فإني أنتحر يا مصر الوطن.. الرحيل كفن والهجرة والسفر عذاب وقتل بطيء وخطر.. آه يا مصر الذكريات والحب والوطن.. لماذا تفعلين معي هذا؟"[2]

وها هي آسيا زوجة فرعون تناجي الله قائلة:

"ربي ابن لي قصرًا في الجنة ونجني من القوم الظالمين.. إن ابني موسى جاء بالرسالة إلى مصر ولأهل مصر كلهم ولي."

ثم تقول:

"موسى يا بني يا نبي الله.. إني أرى فرعون بشرًا.. وهو نائم الآن.. الله لا ينام.. إلهي ابن لي قصرًا في جنتك

---

(١) ص١٨٩ نفس الرواية

(٢) ص١٨٩ رواية كابتشينو

وارحمني من القوم الظالمين.. إلهي مد يديك لي.. أنقذني.."[1]

أما فتحي رضوان فهمساته ومناجاته تملأ الأركان يرسلها عبر الفضاء للنساء والأوطان..

وها هو هنا يناجي إحدى النساء قائلًا:

"آه يا فاتن.. ذات يوم سأخطفك وأضع حول عنقك حرف الياءْ وأضع في أصابع يديك حرف الألف وألف خصرك بحرف السين.. وأضم شعرك بحرف الفاء وأعصب عينيك بحرف الألف، وأضع خلخالًا في كاحل قدميك بحرف النون.. وأكتب شهادة ميلادك من جديد وأسميك ياسمين.

ولكن كل أحلامي مؤجلة ليس بيدي أن أحققها، لم يسعفني الحظ العظيم بعضها هاجر أو سافر او انقرض أو اختفي أو كمد حزنًا ومات."

وها هو يعبر عن روح الهزيمة والانكسار التي استعمرته فيقول: "آه أحلامي با أحلامي.. صرت رجلا مطفأ الحلم وفي إذعان للقدر وللمكتوب ولكنني عنيد ما زلت أحلم كل يوم لأن الله كل يوم هو في شأن.. ولكنني يا سيدتي حياتي سجل

---

(١) ص ٢٣٢ نفس الرواية

هزائم من الوطن والأصدقاء حياتي كانت اختبارات من الرحمن."[1]

المونولج الداخلى

قد يلجأ البعض لتجنب الرد خشية مضايقة الطرف الآخر في الحوار أو هروبًا من المواجهة.. وها هو محب يخفي في ثنايا روحه رده على هامان حين لامه على حبه لنور وصار الرد يجيش في صدره ولا يقوى لسانه على نطقه:

"أنت يا هامان لا تعرف الحب، لا تعرف القلب، لا تعرف ماذا يفعل بنا؟.. الحب يقهرنا.. يدوخنا.. لا نعرف كيف نقهره ويقهرنا.."[2]

وها هو محب يقف مع نور وأبيها فتهمس روحه لها دون أن ينطق:

"أه يا نور.. قلبك جناح فراشات ونبضك نور."

وترد نور دون صوت:

"الآن يا حبيب قلبي اشرب من كف أبي أنا من دمه وظهره.. هذا الذي ضربته منذ أسبوع."[3]

---

(١) ص٢٥٦ رواية كابتشينو
(٢) ص١٤١ رواية كابتشينو
(٣) ص٢٦٧ نفس الرواية

وأما كاظم فما زال يهرب من مواجهة وردة بحقيقة مشاعره تجاهها وكيف أن مكانها بقلبه تشغله سهر دون منازع، فيجيب على تساؤلات وردة في سرّه:

"في أفكاري حالة بين الحسم والتردد.. أريد أن أحبك يا وردة.. أحبك أكثر وأكثر فأغرق.. لماذا حبك على حذر من فوق حافة العشق يا وردة؟ قلبي مع سهر وقلبك معي يا وردة.. ماذا أفعل بالله عليكِ خبريني يا بنت الناس.. أحاول أن أحبك.. أحاول جاهدًا.. أعطني فرصة لأتخلص من حب سهر لا تضغطي عليّ.. يا بنت الناس ارحميني.. كلما ضاقت بي اللحظات تذكرتك يا سهر.."(1)

الاقتباس من القرآن الكريم

بدأ الكاتب الرواية بهذه الآية من سورة النور:

"ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور"(2)

في لمحة وتنويه أن النور يأتي كنفحة من الله وإلهام يرشد البصيرة ويهدي النفوس فينعكس على كامل الكيان ليتجلى أمام العيون.

---

(١) ص٢٢ ٤ رواية كابتشينو

(٢) سورة النور الآية ٤٠

كذلك اقتبس الكاتب مقاطع من سورة التحريم لتكون مناجاة آسيا زوجة فرعون بعد تصديقها لموسى ودعوته وغيمانها بربه فقالت: "رب ابن لي قصرًا في الجنة ونجّني من القوم الظالمين."[١]

الاقتباس من الشعر

استخدم الكاتب العديد من الأبيات لشعراء عرب وعالميين نسقها في السياق الدرامي لتكون استهلالًا لحدث ما أو إتمامًا لحادثة أو موقف أو حوار.

ومن أمثلة ذلك:

لماذا هزمتني الأيام على الرغم من أني لم افعل لها شيئًا؟؟

ومنذ ذلك الحين وأنا أستحم في قصيد البحر

منقوعًا بالنجوم، ولبنيا

مشرقًا بالفرح، غريقًا متأملا ينحدر أحيانًا

الشاعر الفرنسي رامبو[٢]

وها هو الكاتب يستحضر كلمات من نظم الشاعر عادل جلال:

العجوز يسير إلى حتفه

---

(١) سورة التحريم الآية ١١

(٢) ص١٢ رواية كابتشينو

ويترك كوبًا قلما زهرة
قصيدة لرحمة السماء
آه وبعض أطفال[1]

ثم تأتي كلمات شاعرة سعودية فتقول:
في غفلة من الشوق
يشتاق الثرى لذكرى المطر
أ ُمني نفسي بالمطر
عساه يُعمدني على ملّة العشق
فالحُسن في محراب القيد حِرفة النُسّاك
نتوه فيه
نشتاق
فنغدو حيارى
تتلألأ كالماس[2]

نعم؛ فهذا حال العشاق يتأرقون على جانبي العشق تحرقهما الأشواق، بانتظار اللقاء كحبات المطر حين تزور الثرى بعد ليالي الجدب والقحط.

---

(١) ص٢٧ نفس الرواية
(٢) ص٣٤ رواية كابتشينو

ثم يصف الكاتب حال فتحي رضوان بقول الشاعر لويس أراجون:

سواء كنت غائبًا أم حاضرًا

فأنت غير مرئي ولكنك مغدور

وكذلك بقول ابن خلدون

الوطن سجن المتحضرين[١]

ثم كلمات للشاعر أحمد المنعي

يا عطر الأنفاس..

هل لمعذبٍ..

أن يسألك؟!‏[٢]

وأما أبيات الشاعر عماد علي قطري فيستحضرها الكاتب تعليقًا على حال الإسكندرية بعدما كانت عاصمة لمصر لسنوات طويلة، ثم جاء عمرو بن العاص وحوّل العاصمة إلى الفسطاط وأهمل الإسكندرية بعدما كانت منارة وعروسًا على البحر المتوسط

---

(١) ص ٣٦ رواية كابتشينو

(٢) ص٣٨ نفس الرواية

يقول الشاعر:
هدهدي..
وامنحي القلب دربًا
إلى سدرة الماء
علّي أعود ابتداء
إلى ما أشاء
علّني أحضن الفجر
أتلو اعتزالي[1]

وفي قفزة على اللغة الفصحى يستخدم الكاتب بعض الأبيات باللغة العامية للشاعر سمير عبد الباقي:

ياما بلعت حاجات ماهيش من حقك
اكمنها بمحض صدفة اتزحلقت على بقك
بررتها بدعوة أمك لجل تلهف غيرها
والناس مسيرها تصدق ان حظك رزقك
وانك على الخير بتشقى والحسد زقك[2]

---

(١) ص٤٣ رواية كابتشينو
(٢) ص٤٨ نفس الرواية

ربما تعبيرًا لوصف الحالة التي سادت بعد حرب ٧٣ والانفتاح وسيادة لغة المال على العلم، والفهلوة على العقل، وانتشار العشوائية.

وها هو بول ايلوار يحضر بكلماته:
وجوه تحترق
وجوه تتراجع إلى البعيد
رفضًا لليل
رفضًا للإهانة
رفضًا للرصاص(١)

ثم نجد أبياتًا من نظم الشاعر عبدالكريم برشيد
كنت حرفًا تائـهًا معلقًا منشورا
فوق حبل الزمن
فجئتكم كدفقة نور كموجة صوت
كليل يمطر أقمارًا ونجومًا ساطعات
كنت عمرًا فقيرًا، بذر في غيبة السمار زيته
فجئته الآن من قلب غمامة

---

(١) ص ٥٠ رواية كابتشينو

أحمل حفنة زيت وفي القلب شرار[١]

إنه نور المعرفة، نور الحق والعودة إلى التوحيد.

وتلك الأبيات للشاعر أشرف عامر:

خرجت بحثًا عن نور
في وطني التائه في الظلام
لم أجد الشمس
ولا النور ولا حتى الظلام..
كأننا وطن..
كأننا بشر..
كأننا نحيا..
عندما يشاهد مشهدًا عاطفيًا
على شاشة التلفاز
تغرورق عيناه ويشعر بوجع السنين.[٢]

ويذكر الكاتب كلمات للشاعرة نوف محمد (حجازية العينين)

كنت أكتفي بي..

---

(١) ص٥٤ نفس الرواية
(٢) ص٦١ رواية كابتشينو

وما إن وجدتك لا أدري ما حدث..[١]

ونعود للشعر العامي مع كلمات الشاعر مجدي نجيب:
الحمل ياما يا مدينتي يهز شاعر كان في ندره يكون غطا
ويغطي قلبك في الشتا
واحنا سنينّا كلها دايما خريف
ما عاش في راسك يا مدينتي غير عرايا الفكر
يتنفسوا بكا..
يتنزهوا فوق جبهتك في العصر..
ويشرنقوا اسم الكلام في كتاب ضرير
ويبسموا الأحزان في قلب الفجر.[٢]

وهنا يصف الشاعر حال المثقفين الذين شعروا بالغربة في وطنهم فتركوه وهاجروا رغمًا عنهم.

وننتقل إلى كلمات الشاعر ناجي شعيب:
الليل
والنيل

---

(١) ص٧٢ نفس الرواية
(٢) ص٨٠ رواية كابتشينو

والشجر..
في هوة الحلم
لا تستفت القلب الذي ضاق بي قديما
فالغيمة يا رجل
ذاكرة المثقوب[1]
ثم نجد كلمات لـ شهلا العجيلي:
وبعدما كبرنا،
صار يأتي الثلج
يعانق عنا قبور الأحبة،
ويقبل مدارج الطفولة،
وحينما غادرنا،
صار يأتي الثلج،
يلبس ذكرياتنا،
ويلاحقنا إلى المنافي البعيدة.[2]

ثم يتبعها بكلمات للشاعر سيف المري:
يطرق الباب وما من مسمع
طرقات الخائف المندفع

---

(١) ص٨٤ نفس الرواية
(٢) ص ٩٥ رواية كابتشينو

وكأن الليل وحش كاسر
سادر في لونه الممتقع
وكأن الريح ذئب جائع
زاد رعبا للمخوف الجزع..[١]

وأما الشاعر مظفر النواب فكانت له كلمته:
ما أوسخنا ونكابر
أعترف الآن أمام الصحراء
بأني مبتذل وبذيء وحزين
كهزيمتكم يا شرفاء مهزومين
ويا حكاما مهزومين.[٢]

وكذلك كان للشاعرة الدكتورة سعاد الصباح حضور بين سطور كاتبنا:
إنني أعرف جيدًا
أنني أقامر على رجل لا يأتي
إنني أعرف جيدًا
أنني أكتب على الماء

---

(١) ص٩٧ نفس الرواية
(٢) ص١١٦ رواية كابتشينو

وأقرأ على الماء
وأقرأ في كتاب الريح[1]
وكأنه لسان حال سهر التي تنتظر الفارس المغوار الذي يخطفها من الجبل وينقلها إلى بلاد الثراء والذهب لتصبح ملكة متوجة على عرشها، وما زالت تنتظر.

وها هو قاسم حداد يقول:
قل هو الحب
قل هو الحب
هواء سيد، وزجاج يفضح الروح وترتيل يمام
قل هو الحب
ولا تصغي لغير القلب
لا تأخذك الغفلة
لا ينتابك الخوف على ماء الكلام
قل لهم في برهة
بين كتاب الله والشهوة
تنساب وصاياك
وينهال سديم الخلق في نارالخيام

---

(١) ص ١٣٤ نفس الرواية

قل لهم
فيما ينامون على أحلامهم
سترى في نرجس الصحراء
في ترنيمة العود وغيم الشعر سردًا وانهدام[١]

فبينما يعيش فتحي رضوان في حالة من العشق الدائم للنساء ولا يستطيع الحياة دون وجودهم، ونراه يقول لنفسه: "تترك كل أنثى عرفتها لفتة أو تنهيدة أو رائحة عطرها أو إيماءة وتظل في دمي تجري دون أن أدري، وكلهن خرجن من ثقب ذاكرتي وبهن جراح.." ثم يتساءل فتحي رضوان: "ترى أين تغيب ذكرياتنا الجميلة تحت سنابك خيول ايامنا الكئيبة.."[٢]

ويعود الكاتب لاستخدام الشعر العامي في التعبير عن حالة وجدانية تقع فيها النساء من حول فتحي رضوان فيورد أبياتًا للشاعرة وفاء أمين تقول فيها:
يا بختهم كل اللي حواليك كلهم
واللي بتشوفهم عينيك الحلوة دي وتضمهم
واللي بتنادي عليهم ويسمعوا منك اساميهم

---

(١) ص٣٣٤ رواية كابتشينو
(٢) ص ٣٣٥ رواية كابتشينو

واللي جنبك يشتكولك همهم
ياريتني كنت ساعة إيديك
اللي فيها نبض قلبك واللي بتشوفها عينيك
وتمللي حاسس نبضها.. يا بختها
يا ريتني كنت مخدتك
اللي عليها تنام عينيك
وتحلم الحلم اللذيذ وياللي انت تحبها.. يا بختتها
ياريتني كنت مرايت انت
اللي فيها صورتك انت
وتناديلك يا قمر لما تسأل رايها
يا بختها[1]

ونثور ونفور مع الكاتب وأبيات الشاعر أحمد مطر:
نزعم أننا بشر
لكننا خراف!
ليس تمامًا.. إنما
في ظاهر الأوصاف
نُقاد مثلها؟ نعم

---

(١) ص٣٨٣ رواية كابتشينو

نُذعن مثلها؟ نعم
نُذبح مثلها؟ نعم
تلك طبيعة الغنم
لكن.. يظل بيننا وبينها اختلاف
نحن بلا أردية
وهي طوال عمرها ترفل بالأصواف.[١]

نعم؛ إنه حال الشعوب العربية التي تُقاد إلى حيث يشاء الكبار.. إما مستعمر ومحتل أو حاكم طاغية مستبد..
كذلك كان المصريون يطيعون فرعون طاعة عمياء، ولم يستجيبوا لدعوات موسى إلا قليل منهم، حتى برغم كل الإشارات والعلامات التي أرسلها الله لهم.

ويقول محمود درويش:
وليس الأمام أمامي
وليس الوراء ورائي
كأن يديك المكان الوحيد
كأن يديك بلد

---

(١) ص ٤٠٥ نفس الرواية

آه من وطن في جسد.[1]

المقال

تخللت أحداث الرواية كمقاطع بين الفصول مقتطفات من مقالات للكاتب السيد حافظ نُشرت له في عدة صحف عربية خليجية..

كانت بعضها مقالات فنية تتناول مسيرة فنانة أو فنان، وبعضها تعود للفن التشكيلي تتضمن رؤية نقدية لإحدى اللوحات أوتعريفًا بأحد الفنانيين التشكيليين.

وبعضها يتناول موقفًا في مسيرة كاتب أو أديب أو شاعر.

الرواية

من خلال الحاشية سرد الكاتب بعض الجمل المختارة من روايات قرأها الكاتب لكتاب آخرين قد تبدو للوهلة الأولى لا علاقة لها بالسرد الأساسي، ولكن مع كاتبنا لا حرف يأتي من فراغ ولا حرف يقف دون عذر أو سبب.

فنجد ما ورد من رواية الشاعر سمير عبد الباقي زمن الزنازين يقول فيها:

---

(١) ص٤١٧ رواية كابتشينو

" سجن المنصورة يأتيه الجميع من كل فج عميق.. جنود مطرودون من الجيش، معاقبون، ومزيفون ونصابون، ومزورون ونشالون، وهجامون، وهفافون وخطافون، وقطاع طرق، ولصوص ليل، وحرامية بط وفراخ، وعمال أفران خبز، وصنايعية بؤساء، وفلاحون مستورون لكنهم مدينون مبددون، وشغيلة، وتجار مخدرات، ومهربون، وقتلة ينتظرون الأحكام، وأحداث يرحل منهم من يرحل.."(١)

مثال آخر ما كتبه الكاتب محمود الغيطاني في روايته كادرات بصرية:

"ما يحدث حولنا في العالم العربي كله ما يحدث في فلسطين، العراق، أفغانستان، البلقان ما يحيط بنا من جميع الجهات كل هذه الأمور تشعرني بالخزي والاكتئاب الشديد كل هذا يشعرني بطاقة مدمرة راغبة في البصق وتدمير هذه القوة الأمريكية برعونتها الفجة"(٢)

أدب اليوميات

خطفت الحاشية في صفحات رواية كابتشينو الأنظار، ليس فقط بتلك المقاطع الروائية من قراءات الكاتب السيد حافظ،

---

(١) ص ٦٨ رواية كابتشينو

(٢) ص١٥١ رواية كابتشينو

ولكن من خلال سرد يومياته وكأننا نتابع تفاصيل يومه وأحداثه التي مر بها.

المسرحية

استحضر الكاتب نصًا مسرحيًا ليختم به الرواية وهو نص مسرحية "ليلة اختفاء فرعون موسى" فتخرج لنا في صورة المسررواية.

يقول

"يصعب على الباحث في علم الكتابة أكثر من أي باحث آخر أن يتفادى التساؤل حول جوهر موضوعه والذي يتخذ صورة سؤال عن الأصل: ما الكتابة؟ والذي يعني أين ومتى تبدأ الكتابة؟

إنها تجري داخل مفاهيم يندر انتقادها وتتحرك داخل بداهات تبدو دائمًا واضحة بذاتها. وينتظم حول هذه الإجابات علم للأنماط وتصور مستقبلي لصيرورة الكتابة."(١)

إن الكاتب تنقل بين الأزمنة المختلفة، ليمزج القديم بالحديث ويستحضر واقعًا من زمن ولّى في جزء من السرد ثم يكمل السرد بتفاصيل من زمن آخر دون أن يخرج عن فكرته

---

(١) ص ٩٩ في علم الكتابة جاك دريدا ترجمة أنور مغيث، منى طلبة

الرئيسية وهدفه الذي يتحدث فيه عن تلك المعارك التي يجيش بها صدر كل إنسان يشغل عقله بالتفكير فيما حوله ويُنهكه التفكير في أحوال الوطن محاولًا إصلاحها رغم عدم امتلاكه لكل مقومات القدرة على التغيير لكنه يأبى أن يقف عاجزًا.

ليالى دبى – شاي بالياسمين

يستهل الكاتب الصفحات الأولى من رواية ليالي دبي "الجزء الأول : شاي بالياسمين " بكلمة موجهة إلى أرواح جيل من المجانين كما وصفهم الكاتب وهم جيل الثورة قائلاً :

إلى أروع جيل من المجانين أنجبته مصر من ٧ آلاف سنة هو جيل ثورة ٢٥ يناير إليهم الشكر، وكل الشهداء ومن خرج وهتف ومن عشت معهم عبر التليفزيون لحظة سقوط الظلم حتى ولو يومًا واحدًا يكفي أن أقول :

(عشت معكم اللحظة الفارقة التي لم تحدث في مصر من ٧ آلاف سنة) إلى هؤلاء المجانين الذين أسقطوا دولة البوليس بقوة مليونين ، ورئيسًا فاسدًا ودولة فاسدة.. لعدة شهور.[(١)]

ولا عجب أن تتصدر هذه الكلمات مقدمة الرواية ، والتي لا تختلف كثيرًا عن سياسة الأحداث الدرامية في داخل هذه الرواية كما سنرى لاحقاً.

ثم يتبع الكاتب هذه المقدمة بتمهيد واستهلال للأحداث بعدة مقولات لمشاهير الأدب تتناول جميعها طبيعة الكُتّاب

---

(١) ص٥ رواية ليالي دبي شاي بالياسمين

والمثقفين وأنهم من أسرع الناس إلى خيانة الوطن وخيانة أنفسهم.

وأعتقد أن ما كتبه "توماس كارليل" وذكره الكاتب تحت هذه الفكرة ما ينطبق على الكاتب نفسه " الفرق بين الكاتب البطل الأصيل وبين آلاف الكتاب الكاذبين غير الأبطال أن الأول يتعذب بالمعرفة والتهميش، والثاني يتمتع بالنفاق والمال والحياة ورضاء السلطة"(١)

فالسيد حافظ مهموم دائمًا بما يجده من زيف وتزوير للتاريخ، يتعذب بالمعرفة ويريد كشف كل أخطاء التاريخ ويعانى التهميش رغم تميزه وتفرده.. وذلك لأنه لم يسعَ أبدًا لإرضاء السلطة، رغم يقينه بأنه سيدفع ثمن ذلك تهميشًا وعدم تلقي الاهتمام الكافي بإبداعاته، لكنه يكتفي بعدد قليل من القراء الواعين الباحثين عن الحقيقة مثله .

ونعود إلي الرواية التى تبدأ فعليًا في الصفحة ١٤ بعنوان فتحى رضوان خليل ثم يليه عنوان فرعي "همسة"..

لا تتعجب عزيزي القارئ فكما أخبرنا السيد حافظ من قبل كل جزء من هذه السباعية يختلف في بنائه الدرامي وطريقة عرضه بنسبة ٨٠ % عن الآخر.

---

(١) ص ٨ ليالي دبي شاي بالياسمين

فبعد همسة يخبرنا فيها الكاتب عن أصل الملكة تي والدة إخناتون "الذين ورد ذكرهم خلال قصة روح سهر الأولى نفر".. ألم نقل لكم إنـها سلسلة روايات منفصلة متصلة؟

ولكن بعد الهمسة يهدينا الكاتب مقطعاً من أغنية للمطربة نجاة.

ثم يعود للسرد الدرامي فيبدأ مرحلة جديدة من حياة فتحي رضوان " ليلة زفاف فتحي رضوان"

وكعادة الكاتب لا يحدّه مكان ولا زمان، فيعود بالزمان في قفزة صغيرة إلى ثورة يوليو ٥٢ ولكن هذه المرة من خلال عالم أحلام فتحي رضوان وزيارة عبد الناصر له ثم تلتها زيارة محمد نجيب، وننتقل هنا إلى بعد آخر عبر أحلام فتحي رضوان ليفتح لنا بابًا على أحداث تاريخية، ويصحح معلومات لطالما كانت بالنسبة لنا ثوابت لا يجرؤ أحد على الاقتراب منـها.

ليست أحلام فتحي رضوان فقط هي الإضافة الجديدة في عالم روايات السيد حافظ المتجدد، فها هو يفاجئنا في هذه الرواية بفواصل جديدة كأدب الرسائل حين يستعرض بعض رسائل أصدقائه مثل مجدي نجيب.

والفاصل هذه المرة الذى يمتد معنا على طول الرواية يحمل اسم "شخصيات في سيرة ومسيرة ابن حافظ.. فيما حدث

وما جرى له في بلاد المسخرة"

وهنا يخرج الكاتب عن أحداث الرواية، وينقلنا إلي تجربته الشخصية والمواقف التي تعرض لها خلال مسيرته الأدبية نظرًا لكونه الكاتب البطل الذى لا يرضخ لسلطة غاشمة ولا يتقرب لمسؤول فاسد، وهو المهموم بالمعرفة ويريد دائمًا أن يهديها لمن حوله، ولكنهم يبحثون عن المنافق الذي يرضي الجميع ولا يغضب أحد.

ولا تخلو الفواصل كالعادة من بعض الأبيات لشعراء العرب، أو مقاطع من أغنيات لفيروز أو نجاة كما بدأ الرواية..

حديقة غنية بالأجناس الأدبية المختلفة يتجول فيها القارئ فيدهشه هذا التناغم بينها، وتنقله من حالة مزاجية إلى أخرى مع حالات السرد الروائي المختلفة..

ومازالت الحاشية التي أضافها الكاتب في رواية كابتشينو مستمرة.. ومعظمها تحكي أحداث ويوميات الكاتب في الفترة التالية لما بعد ثورة ٢٥ يناير..

وتبدأ شهرزاد في الولوج عبر بوابة الزمن الساحرة، لتنقلنا وسهر إلى عالم آخر وحكاية روح جديدة لسهر، تدور أحداثها هذه المرة بين مصر والشام..

وهنا يروي لنا الكاتب حكاية أشبه بقصص الخيال، ولكنها بالفعل حدثت ولكن ربما لم ينصفها التاريخ ولم يمنحها

سوى إشارة؛ فكيف يسجل التاريخ أن زبالاً استطاع أن يقوم بثورة ويجمع الناس حوله؟
بل ويهزم الوالي، ثم يهزم حملة عسكرية أرسلها العزيز بالله الخليفة الفاطمي في مصر..
إنه قسّام التراب الذي أسقطه التاريخ عنوة، وتخلى عنه.. وابنته شمس "الروح الثالثة لسهر"..
وهنا تتداخل الأحداث التاريخية لثورة قسّام التراب ضد الحكم الفاطمي التي جاءت بالصدفة، مع الحاشية وما تحمله من حكايات وتداعيات ما بعد ثورة يناير..
كذلك تهديدات القرامطة لدولة الفاطميين في الشام..
ونجد الكاتب هنا يعرض مشاهد مسرحية كاملة، فالكاتب نفسه قد قدم مسرحية "ملك الزبالة" على المسرح، وها هو ينقلها لنا هنا في داخل الرواية لتخدم الفكرة الرئيسية، فالظلم والجور عندما يزداد عن الحد يجعل الناس تفقد صبرها، وربما أشعل بداخلهم نيران الثورة وشحذ الهمم التي ظلت دهورًا تعاني الفتور والركود.
وهنا نجد الوالي الفاسد والقاضي الفاسد ورئيس الشرطة الفاسد... سلسلة من الفساد لا تنتهي، والحلقة الأضعف فيها هو المواطن الفاسد أيضًا، فالسكوت على الفساد والظلم مشاركة فيه، والرضا بدور المظلوم واتقانه فساد من نوع

آخر.
ولكن ماذا بعد الثورة ؟
هل كان هؤلاء الزبالين مؤهلين للحكم؟ وهل فعلاً الدولة تسيّر نفسها بنفسها؟ وهل شعوبنا تستطيع حكم نفسها بنفسها؟
الكثير من الأسئلة يطرحها الكاتب هنا..
وعلى التوازي مع حكايات قسّام التراب في الشام، ومؤامرات الوالي المخلوع والقاضي المرفوع، ورئيس الشرطة المعزول نجد مؤامرات أخرى في القاهرة بعد مرض العزيز بالله وضعفه، تتوجه الأنظار نحو ابنه ولي العهد "الحاكم بأمر الله".
وتتوالى الهمسات عن إخناتون ووالده ووالدته، وتدخل التنهيدة إلى المشهد لتفتح محورًا آخر للأحداث وزمنًا آخر؛ إنه ميلاد لمرحلة جديدة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ونهايات عصر الخلفاء الراشدين وبداية الفتنة وقتال المسلمين بعضهم البعض.. فريق مع علي بن أبي طالب وفريق مع معاوية بن أبي سفيان..
وتتوالى التنهيدات وتتطور الأحداث ويبدأ الموالون لعلي بن أبي طالب بالتخلي عنه والإخلال بالعهد الذي عاهدوه عليه.
إنها الخيانة التي لا تغتفر، حين تخون من أمّنك حماية ظهره

وتتركه فريسة لأعدائه..

أما شعب قسّام التراب فلم يكترثوا، وتركوا أعمالهم ما دامت حاجاتهم تُقضى وتُفتح لهم أبواب التكايا ليأكلوا ويشربوا.. فلا حاجة لهم بالعمل، والراحة أولى بهم.

فانهزم قسّام التراب وانتهت فترة حكمه وعاد الوالي الظالم وعادت الضرائب وعاد الشعب لعمله.

وأما في سياق الرواية الأساسية فتحي وسهر فنجد بعض التطورات في الشام بعودة حامد الصقر ابن عم شهرزاد بعد تعرض والده للظلم وتآمر الجميع عليه، وسكوت الناس وهم يرون هذا الظلم، ولكنهم كالعادة يتآمرون بالصمت والسكوت عن قول كلمة الحق ويكتفون بالمشاهدة.

ويسقط الظلم المتمثل في المختار بسام، ولكن هل بسقوطه ينتهي الشر؟ وهل الشر يتمثل في شخص واحد؟

هناك ركن مظلم بداخل كل منا يحمل قدرًا من الشر، البعض يحاصره ويخفيه ويمنع عنه الهواء ليقتله، والبعض يترك له العنان ليسرح ويمرح وبالنهاية يتمكن منه ويقتله هو، ولكن بعدما يقتل كل جميل من حوله.

وعلى الرغم من تمحور الأحداث في عدة أزمنة محددة، إلا أن الكاتب كعادته يقفز بنا بعض القفزات في ذاكرة فتحي رضوان ليوقظ حواسنا، ويمنحنا المزيد من الإثارة

والتشويق..
ونجد أيضًا بعض الأحداث الاستباقية التي لجأ لها الكاتب للمزيد من التشويق كما ذكر عن فتحي رضوان من قبل حين وصفه "حبيب سهر في المستقبل" ها هو هنا وطوال أحداث هذه الرواية يصدّر لنا هذا العنوان: عدنا إلى " حكاية شمس وعشق الحاكم بأمر الله" وكلما قرأنا هذا العنوان ننتظر بشغف لقاء شمس بالحاكم بأمر الله وتنتهى أحداث الرواية قبل أن يلتقيا، فيزيد فضولنا ورغبتنا في قراءة الجزء القادم، لمعرفة الحكاية وما سيحدث بينهما.

والآن دعنا نستعرض عزيزي القارئ بعض ملامح الأجناس الإبداعية التي استخدمها الكاتب الكبير السيد حافظ في رواية ليالي دبي.. شاي بالياسمين:

اقتباسات شعرية

استخدم الكاتب بعض المقاطع من قصائد شعرية ونصوص نثرية لتتناغم مع جو الأحداث:

في النص الشعري؛ الحيلة، والبراءة تتجاوران
لم تكن الشمس واشية، كنادل
"الكابتشينو" في البهو القديم

ولم يكُ النور وقحًا كالجالسين،
يعري العيون –أول لقاء- على عاشقين
ولم أكن مستعدًا –حين بدأتُ القراءة-
أن تخطفي القصة –عنوة-
هكذا.. وأنا أخفي حمرة الحروف، في فمي..
كنت أنصت للوحة كاندنسكي الزاعقة،
وأبارك –كقسيس بارع-
جلبة اللون في الاعتراف الأخير
وحدة البوح في الصور المعتمة،
ثم ألعن ما تسلل في الظلال المضيئة من لصوص!
الشاعر علاء عبد الهادي
من قصيدة بركة الدم؛ لقاء آخر لابتكار المحبة.[١]

ثم نجد الكاتب قد انتقل إلى الشعر العالمي فيستحضر أبيات للشاعر الروسي بوشكين
بلا عنوان
إن خدعتك الحياة
فلا تحزن، ولا تغضب!

---

(١) ص ٣٩ ليالي دبي شاي بالياسمين

في اليوم الشجي اهدأ،

يوم الفرح، ثق، لا بد آت.

القلب يحيا في المستقبل،

فالحاضر كئيب!

كل شيئ عابر، كل شيئ سيمضي،

وما سيمضي –سيصبح أجمل.[١]

ويعود الكاتب لأرض الوطن ببعض ابيات من نظم الشاعر عبد المنعم سالم

كان لنا أرض

وعلينا فرض

ولنا في الأرض براق

وبراح مسكون بالآفاق

وبشارات

وقطوف دانية

ولغات

علمنا من لغة الطير

ومن لغة البحر

لآلئ أسرار لغات البر

---

(١) ص ١٠٩ ليالي دبي شاي بالياسمين

وكل الأسماء[1]

ثم يقفز بنا الكاتب قفزة زمانية للوراء فنعود لعصر المتنبي ونلتمس بعضًا من أشعاره:

وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا
بها نبطي من أهل السـواد يدرس أنساب أهل الفلا
واسـود مشفره نصفـه يقال له أنت بدر الدجا
وشـعر مدحت به الكركدن بين القريض وبين الرقا
فما كـان ذلك مدحـا له ولكنه كان هجو الورى
وقد ضل قوم بأصنـامهم فأما بزق رياح فلا
وتلك صموت وذا ناطق إذا حركوه فسا أو هذى
ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى[2]

ويعود للشعر العالمي وكلمات بول إيلوار:

فوق عتبة بابي
فوق الأشياء الأليفة
أكتب اسمك
فوق كل لحم مستباح

---

(١) ص ١٢٩ ليالي دبي شاي بالياسمين
(٢) ص ١٣٦ ليالي دبي شاي بالياسمين

فوق جبين أصدقائي
فوق كل يد ممدودة
أكتب اسمك.[١]

ويتبعها بأبيات للشاعر سان جان بيرس:
سموني الغامض، وكان حديثي عن البحر
السنة التي أتحدث عنها أن هي السنة العظمى:
البحر حيض سأل هو البحر الأعظم
الخشوع لشاطئك، أيها المجنون، يا بحر اللذة الأعظم
الحال بائس على الأرض، لكن ملكي هائل على البحار،
وغنيمتي على موائد ما وراء البحار لا تحصى
المساء المزروع بالأنواع المضيئة.[٢]

وهذه أبيات الشاعر عبد الرازق عبد الواحد
كنت أعلم كيف سترتجفين
كيف كل مسامات جلدك تشهق مذعورة
ثم تسكن مبتلة بالحنين!..
كنت أعلم كيف سيصفر وجهك

---

(١) ص ١٨٦ ليالي دبي شاي بالياسمين
(٢) ص ٢٥٠ ليالي دبي شاي بالياسمين

يحمر وجهك
كيف أصابعك الثلج
ينبضن
تنهض فيهن أشرعة لا تبين
ثم يبحرن ملء دمي
وفمي.[1]

ثم يفاجئنا بأبيات من الشعر العامي "الزجل" للشاعر مجدي نجيب:

صهدان في عز البرد
بردان في عز الصهد
لاكن باحب الورد
يلبس هدوم إنسان
أنا زرعت الورد
بانده مفيش ولا رد
يا عالم في أي أرض
يفرح أمل إنسان
الحل دا مش حلي

---

(١) ص ٢٦٣ ليالي دبي شاي بالياسمين

أصبحت مواطن.. دولي
والعالم أكيد من حولي
بيدور على إنسان.[١]

هذا بالإضافة إلى كلمات بعض الأغنيات للفنانات نجاة، ليلى مراد وفيروز ترتبط بالأحداث وتتداخل كلماتها مع تطور الأحداث.

وكان التزامن الطبيعي مع الحالة الصوفية التي اكتنفت البطل في بعض التجليات استخدام الكاتب لبعض الآيات القرآنية كعناوين للفصول مثلما بدأ الكاتب أو فصل بـ : "عم يتساءلون"[٢] ، "علم الإنسان ما لم يعلم"[٣] ، "والصبح إذا تنفس"[٤] ، "والليل إذا عسعس"[٥] ، "وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا"[٦]، "فأغشيناهم فهم لا يبصرون"[٧] ، "وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا"[٨]

---

(١) ص ٢٦٤ ليالي دبي شاي بالياسمين
(٢) ص ١٣ نفس الرواية
(٣) ص ٩١ نفس الرواية
(٤) ص١٢٤ نفس الرواية
(٥) ص ١٥٨ نفس الرواية
(٦) ص ١٩٦ نفس الرواية
(٧) ص ٢٣٠ ليالي دبي شاي بالياسمين
(٨) ص ٢٣٣ نفس الرواية

"إلا من أتي الله بقلب سليم"[١] ، "يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون"[٢] ، "ولقد صرفناه بينهم ليذّكّروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا"[٣] ، "وكان الإنسان أكثر شيء جدلا"[٤] ، ثم يعود إلينا بعنوان كبير "وكان فضل الله عليك عظيم"[٥] ، وفي بداية فاصل " وهو بالأفق الأعلى"[٦] ، "كنتم خير أمة أخرجت للناس"[٧] ، "وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوا من المجرمين، وكفي بربك هاديا ونصيرا" و "وما أضلنا إلا المجرمون"[٨]

ولم يكتفِ الكاتب بالآيات القرآنية بل استخدم مقطعًا من رسالة يوحنا الرسول الأولى: "ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا. الله محبة، ومن يثبت في المحبة، يثبت في الله والله فيه."[٩]

---

(١) ص ٢٦٥ ليالي دبي شاي بالياسمين
(٢) ص ٢٨٥ نفس الرواية
(٣) ص ٢٩٨ ليالي دبي شاي بالياسمين
(٤) ص٣١٩ نفس الرواية
(٥) ص ٣٨٣ نفس الرواية
(٦) ص ٣٠ ليالي دبي شاي بالياسمين
(٧) ص ١٨٥ نفس الرواية
(٨) ص ٢٧٨ نفس الرواية
(٩) ص٤٠٦ ليالي دبي شاي بالياسمين

الأدب الواقعى واليوميات

كذلك استغل الكاتب الكبير الحاشية في طرح أسلوب آخر من الأدب وهو الأدب الواقعي، حيث استعرض فيها بعض تبعات وأحداث ثورة ٢٥يناير، والإشارة إلى فترة حكم الإخوان تزامنًا مع ثورة قسّام التراب في الرواية الأصلية.

فمثلا نجده في الصفحة ٥٥ يسرد في الرواية الأصلية إرهاصات وبدايات لثورة الزبالين بإضرابهم عن العمل، ليضعوا الوالي والقاضي في مأزق.

ونجد في الحاشية ذكر هذا الحدث:

"اليوم ١٢ اغسطس من عام ٢٠١٢ قام الرئيس محمد مرسي بإقالة المشير طنطاوي، وسامي عنان، وتعيين وزير للدفاع جديدا (عبد الفتاح السيسي) قالوا عنه إنه إخواني.. فرح في الشارع المصري.. غضب من الفلول وأعوان حسني مبارك وطبقة رجال الأعمال المستغلين للشعب العبيط.."[١]

ثم يذكر حوارًا مع صديق في نفس السياق:

---

(١) ص ٥٥ ليالي دبي شاي بالياسمين

"في المساء قابلت دكتور مدحت الجيار في كافيتيريا جريون ومعه الصحفي أحمد الشايب.. قال محدثا: مرسي لن يكمل سنة قال الشايب أكيد لن نسمح للإخوان بالستيلاء على مصر والجيش.. قلت المشكلة ليست إخوان، ولكن تجربة الديموقراطية في مصر عاوزين نتعلمها.. لم يعجبهم الكلام.. قال دكتور مدحت الجيار: بيني وبينك الأيام، سترى أن مرسي لن يكمل عاما.. ضحكنا.."

في إشارة من الكاتب إلى وصول الإخوان للحكم بالصدفة وركوبًا للموجة.

أدب الرسائل

استخدم الكاتب أدب الرسائل الذي لقي حالة من الرواج والازدهار في القرنين الثالث والرابع الهجريين..

ومن أمثلة الرسائل في رواية ليالي دبي.. شاي بالياسمين رسائل الشاعر والفنان التشكيلي مجدي نجيب التي تجسد معاناة المبدعين والمفكرين في الغربة بعدما أبعدتهم أرض الوطن وتخلت عن طموحاتهم وتركتهم في مهب الانفتاح يحاربون طواحينه وحدهم.. ومن هذه الرسالة التي أرسلها أثناء إقامته في قطر نقتطف هذه الكلمات:

"أخيرًا نستطيع المراسلة، فهذا شيء بديع قد يخفف من وطأة الغربة، أنا كنت أقرأ عنك في الجرائد والمجلات الخليجية وبعض الدراسات، آخرها كان في جريدة الراية القطرية، وبالطبع لم أكن مستغربًا خربشتك وإصرارك النبيل لتحقيق طموحاتك في زمن المصالح والشلل، وأعتقد أنك استطعت تحقيق بعض ما تحلم به. ولا يزال هناك متسع من الوقت بوضع بصمة على جبين الزمن والتاريخ.. أما عن نقاد مصر فعليه العوض لم يعد هناك ناقد واحد يستعمل ضميره.. ناهيك عن جهلهم المتضخم في شتى المجالات: المسرح، السينما، الأغنية، الموسيقى، التليفزيون، الراديو، حتى في القضايا السياسية. فقد تشابكت المسائل، وفقد كل شيء طعمه ورائحته."(١)

في رسالة صغيرة لخص كل هموم ومواجع الكاتب والمبدع الحقيقي وليس ذاك اللاهث خلف الثراء دون أي قيمة أدبية.

وهذه رسالة أخرى من الشاعر والفنان التشكيلي ممدوح بدران كتبها من إيطاليا يشكو فيها من تجاهل الأصدقاء لرسائله وعدم نشرهم لمقالاته في عدة مجلات.

---

(١) ص ١٢١ ليالي دبي شاي بالياسمين

فيصف الحالة العامة في كلمات مؤثرة حين يقول:

"وماذا تنتظر من الأنصاف؟؟!

إن الكتابة في هذه المنطقة.. ما زالت محصورة داخل إطار مشروعية ملفقة بين ماضي تصر على أنه هو الحاضر نفسه، وبين حاضر لا ترقى بتعمقه لمراقبة نبضه.. إنها في مجملها مرآة "لأزمة" ونتيجة "لظرف"، إنها ما زالت خارج الزمن، ولم تكن أبدًا هي الظرف نفسه، لذلك فهي كتابة "تابعة"."(١)

وهذه رسالة أخرى من الشاعر مجدي نجيب يتحسر فيها على حال من عشق تراب الوطن، ولكن الوطن بالمقابل لم يعره أي اهتمام، فنراه يقول:

"أخي وصديقي الحبيب الفنان الشارد المعذب في الملكوت الواسع الضيق.. كنت أبكي وأنا أقرأ كلماتك، وكأن سكينًا يمزقني.. حقا ماذا نفعل في هذا الحب الكبير الذي نحمله لمصر؟ ولقاء أي شيئ..؟؟ لقاء هذا التشريد الرهيب.. "(٢)

---

(١) ص ١٩٠ ليالي دبي شاي بالياسمين
(٢) ص ٢٦١ ليالي دبي شاي بالياسمين

ثم نجد الرسالة الثالثة من الشاعر مجدي نجيب يشحذ فيها همة صديقه (الكاتب) ويدعوه للتعاون ومواجهة تيار الجهل والانحدار مستخدمًا مفردات من وحي إبداعاته وفنه التشكيلي فيقول:

"صديقي الفنان السيد حافظ

وصلتني اليوم رسالتك المتفجرة غضبا وحيرة.. وكأنها لوحة زيتية فيها كل الشخوص تحستي الحزن على هامش التاريخ.. وتتسول الصدق بجوار جدار الكذب المبني من أجساد ناس هذا الزمن.. أنا معجب بك وبحماسك الذي لا يفتر إذ منذ بداية سنوات عديدة مرت بنا كبرنا فيها وعانينا الكثير.. وانطفأت واشتعلت بداخلنا عوالم كثيرة.. والبديع حقًا أنك لا زلت الفارس الصامد الذي لم ينزل من على صهوة فرسه.. ولم يلق بالسيف مثل فرسان جيله.."(١)

السيرةالذاتية

أدخل الكاتب فواصل مرتبة تحت عنوان "شخصيات في سيرة ومسيرة ابن حافظ فيما حدث وما جرى في بلاد المسخرة" كانت مقتطفات وذكريات لمواقف وأشخاص في

---

(١) ص ٣٤١ ليالي دبي شاي بالياسمين

سيرة الكاتب الذاتية، استحضر شخوصها ليستعرض بها بعض المعوقات التي اعتضرت مسيرته، وربما تعترض مسيرة كل مبدع على اختلاف مجاله.

فنجده بدأ هذه المسيرة بشخصية اكتشفت بواطن نبوغ وموهبة الكاتب الكبير السيد حافظ، وهو الكاتب الكبير يحيى حقي، حين عرض عليه أشعاره في مقتبل حياته فلم ينقده نقدًا يقتل بذور الموهبة والطموح بداخله، بل وجهه التوجيه الذكي نحو موهبته الحقيقية التي اكتشفها بخبرته.

ثم نجده يكتب له تعليقًا على مسرحية "الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب" حيث كتب له:

"أيها المبدع الشاب أنت لك مستقبل مبهر وإنني فوجئت بجرأتك في اقتحام موضوع العلاقة بين الفلسطينيين والإسرائيليين من وجهة نظر اليسار الإسرائيلي والعربي.. استمر وحافظ على موهبتك." [١]

ثم يمر شريط الذكريات وأبطاله من الشخصيات التي رافق بعضها كاتبنا الكبير كصديق وفي، والبعض برغم الصداقة البادية إلا أنهم لم يألوا جهدًا في وضع العراقيل في طريقه،

---

(١) ص ٣٢ ليالي دبي شاي بالياسمين

أو على أقل تقدير سرقة نجاحه، وعدم إلقاء الضوء عليه عن عمد.

رفقاء رحلة الحياة: فاروق حسني وزير الثقافة السابق، فهمي الخوليالمخرج المسرحي، حسين اللبودي محد السيد عيد، مؤمن خليفة،عصام السيد،علي الجندي، سمير غريب، حمد الرقعي، سيد شحم، عبد العال الحمامصي، أحمد العدواني، تيسير نظمي، سليمان الحزامي، عبد الحميد المزروعي، نادر خليفة، عقيل سوارعز الدين نجيب، إبراهيم غلوم، المخرج عباس أحمد، الناقد عبد الله هاشم، فتحي الحكيم، سعد أردش، سناء شافع، عبد القادر حميدة، عبد العزيز السريع، سعد الدين وهبة، المخرج وفيق وجدي،المخرج يحيى العلمي، صالح البحر، علي خميس، صلاح الساير، محمد رفاعي، حمدية صقر،محمد بن مسعود، وليد الرجيب.

ليالى دبى .. شاي أخضر

يجيب السيد حافظ على سؤال وُجّه له في أحد الحوارات الصحفية كانت فحواه "لماذا اتجهت في السنوات الأخيرة إلى كتابة الرواية؟" فيقول:

"اتجهت إلى كتابة الرواية يأسًا من الكتابة للمسرح، لأن المسرح يشهد حالة من الركود، المسرح العربي قد مات.. تقيم له مهرجانات عربية لبث أوكسجين في جثة هذا المسرح بلا جدوي، كذلك المسرحيون أنفسهم اتجهوا للمسرح الكوميدي، وتركوا المسرح الحقيقي وأصبح للتلفزيون مسرح..

الرواية بالنسبة لي مشروع تصحيح للتاريخ العربي، الرواية هي تاريخ للسيرة الذاتية، وكذلك هي الفن المتنوع الذي يحتوي على كل الفنون البصرية والفنية.

ثم أردف قائلًا كان حلمًا عند توفيق الحكيم أن يكتب رواية ممزوجة بالمسرح؛ فكتب في عام ١٩٦٣ بنك القلق وكتب يوسف إدريس "نيويورك ٨٠"

في محاولة لهذا المزج كان عندي مشروع متكامل أسميه "مسررواية" حيث يتمزج المسرح بالرواية.. جاء ذلك بعد أكثر من أربعين عامًا من الكتابة المسرحية، ثم اكتشفت

مناطق أخرى في الكتابة مثل السيناريو.. المسألة عندي ارتبطت بالخروج من أطر الكتابة التقليدية."

نعود الآن إلى ليالي دبي "شاي أخضر" التي يستكمل فيها السيد حافظ نفس الإطار أو النمط الذي استخدمه في الجزء الأول "شاي بالياسمين": السرد، مقاطع غنائية، مقاطع شعرية، وفواصل تحمل عنوان "شخصيات في سيرة ومسيرة ابن حافظ فيما حدث له وما جرى في بلاد المسخرة" وهو ما نوه عنه كاتبنا في حواره عن تاريخ السيرة الذاتية؛ فهو لم ينسَ مشاعر الخذلان وخيبة الظن في أصدقائه ورفقائه في رحلة العمر، رغم ما قدمه من مواقف اتسمت بالشجاعة والبطولة وقف فيها أمام تيارات الظلم مدافعًا عن حق أحدهم، أو معينًا لأحدهم في عبور أزمة أو ضائقة، ولكن حين تتعثر قدماه لا يجد من يتوكأ عليه، بل ويجد من يضع له العثرات والعراقيل، لا لشيئ سوى أنه اتسم بالتميز والإبداع، ولم ينضم لقوافل المتشابهين ويخشون الأصوات الداعية للتجديد، بل ويحاربونها..

ثم يفاجئنا الكاتب بدراسة هامة تحت عنوان:

"الشخصية المصرية بين الثابت والمتحول" فيقدم لنا خلاصة هذه الدراسة في عدة سطور يوضح فيها ما طرأ على المصريين من تغيير منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا.

الأصل في التاريخ أن الأمم تتطور والحضارات تنمو وتزدهر على مر العصور المتتالية، إلا الحضارة المصرية، فالأمر هنا يسير عكس كل القواعد والنواميس.

والواقع يقول أننا أمة بدأت من القمة وتنحدر إلى القاع بسرعة الصاروخ.

ما زالت رسائل مجدي نجيب رفيقتنا في هذه الرواية وما تحمله من إبداع؛ فأدب الرسائل من الألوان الأدبية المتميزة ومن منا لا يتذكر رسائل جبران خليل جبران إلى ميّ زيادة، وما حملته من أساليب ومفردات تخاطب الأحاسيس وتداعب الخيالات.

وكذلك رسائل سارتر إلى سيمون دي بوفوار.

وهنا استخدم الكاتب السيد حافظ أسلوب الرسائل ليكتب لمعشوقته الوطن رسائل عشقه.

كذلك استخدم رسائل مجدي نجيب التي حملت الكثير من المعاني، فعلى الرغم من جزالة المفردات وروعة الأساليب إلا أنها كانت بمثابة شهادة للتاريخ على وطن يتجاهل المبدعين ويسحق أحلامهم، ويعشق معاناتهم.

ويعود الكاتب لأحداث الرواية فتسير الأحداث في خطين متوازيين، لقاء فتحي رضوان وسهر من جهة ولقاء الحاكم بأمر الله وشمس من جهة أخرى.

في تناقض شديد بين شخصية فتحي رضوان الذي لا يعرف ماذا يريد؛ فعشقه للوطن القاسي عليه جعله يبحث عن الدفء في أي مكان آخر خاصة بين أحضان النساء كبديل عن حضن الوطن.

أما الحاكم بأمر الله فنجده على النقيض؛ فعشقه للوطن كان من موضع قوة ونفوذ، ولكنه يعبّر عن هذا العشق بإسراف وتعسف فيقتل من يراه مخطئًا، لا مجال عنده لتعليم أو إصلاح أو تهذيب.. المخطئ يتخلص منه فورًا؛ فهو يريد أن يصلح كل الأخطاء في أسرع وقت، لا يهمه خسارة بعض الأوراح.. الكل فداء للوطن..

وهنا يعود فتحي رضوان بذاكرته لما قبل سفره، ويتذكر بعض الأحداث المؤسفة في مصر في هذا الوقت "الحديث"، بينما نجد حالها في الجزء الموازي (في زمن الحاكم بأمر الله) مختلفًا تمامًا "على العكس" هذه المقارنة بين الحقبتين ما زالت تفسر لنا دراسته عن الثابت والمتحول في الشخصية المصرية.

وبينما نجد فتحي رضوان مستسلمًا لنزواته ورغباته وكأنه ينتقم من الوطن الذي عشقه فخانه ولم يهتم به..

نجد الحاكم بأمر الله يمنع نفسه عن شمس في العديد من المواقف رغم عشقه لها وعشقها له، لكنه يشعر أنه خُلق

لرسالة أهم وأسمى وهى خدمة مصر.
(كيف تنامين وأنا غائب عن ذاكرتك يا فاتنة، يا مصر أنا في دبي وليالي دبي بالنور والعشق غارقة.)[1]
(وأعرف أنني غائب وحاضر وأنني في العشق قاتل ومقتول وعابر وقائم ومكتئب كالشتاء ومتقلب كالربيع، وأنا نبت غريب في أرض تقتل المبدعين بغباء، وتعذب الأنبياء ويدعي أنه أصل الحضارة وعاجز عن تنظيف شارع أو حارة ولي رفاق مثلي بالوطن غارقون.)[2]
(عن ماذا أكتب والوطن القواد يراقب السفاحين والكذابين والبلطجية والخونة مبتسمًا في غباء.)[3]
لا شك أن هذه الرسائل تحمل بين طياتها شهادة الكاتب وأوجاعه وحزنه على الوطن وخصوصًا إذا ما راجعنا زمن كتابة الرواية التي كتبها المؤلف بعد ثورة ٢٥ يناير والفترة التي تلتها من انفلات أمني وانتشار البلطجة في ظل غياب الشرطة عن الشوارع وانسحابهم من المشهد وترك الشعب يلقى مصيره دون حماية.
ثم ينقلنا الكاتب إلى شوارع مصر القديمة في زمن الحاكم

---

(١) ص ٥٩ ليالي دبي شاي أخضر
(٢) ص ٦٠ ليالي دبي شاي أخضر
(٣) ص ٦٠ نفس الرواية

بأمر الله في مشاهد مسرحية متقنة تجعلك تشعر بالأبطال يتحركون أمام عينيك وحوارات معبرة ما بين مؤامرات على الحاكم وما بين حكايات الدهماء، وقليل منها حوارات عشاق..

وفي قفزة جريئة من قفزات السيد حافظ التاريخية ينقلنا لزمن عبد الناصر وثورة ١٩٥٢ وما بعد الثورة، وفكرة قطار الرحمة التي اقترحها وجيه أباظة ونفذها هو والفنانون المصريون لجمع تبرعات من الشعب المصري "الهدف الظاهر" والمباركة والتعريف بثورة يوليو في زمن كانت فيه وسائل التواصل محدودة جدًا، والشعب غالبيته فقير جاهل لا يعرف ما يدور في المدن الكبري.

وتنتهي حكاية الحاكم بأمر الله وشمس بليلة اختفاء الحاكم بأمر الله في مشاهد مسرحية.

ثم يكمل الكاتب حكاية فتحي وسهر ولقاءهم الأول.. ولكن لابد من الوقوف عند إضافة جديدة قام الكاتب بإدخالها ببراعة في طيات الرواية كجزئية جديدة في الفواصل، تخبرك أيها القارئ أن روافد الفن لا تُعدم أبدًا والتعبير لا يكون فقط بالحرف، بل وبالنعم..

"كونشرتو" حيث يتحدث الكاتب عن موسيقيين عظام أثروا الموسيقى بإبداعاتهم أمثال موتسارت، بيتهوفن وباخ.

وتنتهي رواية ليالي دبي شاي أخضر بهذا الحوار بين سهر وشهرزاد التي تكتشف بقلب الأنثى وروح الأم تغيّر نبرة صوت سهر، ونظراتها المنفرطة في كل صوب تحيط بفتحي رضوان لتكتشف ما حاولت إخفاءه سهر.

ثم يلوح لنا الكاتب بحكاية جديدة وروح سهر الرابعة "وجد"

اقتباسات من القرآن الكريم

كعادة كاتبنا الكبير السيد حافظ نجده يختار بعناية آيات من القرآن الكريم أو مقاطع منها لتتداخل في أحداث السرد وتطلق الخشوع والرهبة في القلوب.

فنجده اقتبس جزءًا من الآية ٨٨ في سورة يونس على لسان سيدنا موسى يدعو فيها على المصريين بعدما كذبوه وتجاهلوا الآيات التي أرسلها الله إليه ليؤمنوا فيقول:

"ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم."(١)

كذلك نجد سر سورة الرحمن التي لا تفارق فتحي رضوان ويتذكرها في كل أوقاته..

فيذكر الكاتب الآيات ٣٧ و ٣٨من سورة الرحمن:

---

(١) ص ٤٩ ليالي دبي شاي أخضر

"فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان، فبأي آلاء ربكما تكذبان."[1]

كذلك ورد ذكر الآية ٢٠ من سورة النور كأحد الفواصل:

"ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم."[2]

وجزء من الآية الكريمة ٣٥ من سورة النور:

"ولو لم تمسسه نارٌ نورٌ على نورٍ يهدي الله لنوره من يشاء."[3]

ثم الآية ٤٣ من نفس سورة النور:

"يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار."[4]

ولا عجب من اختيار الكاتب لعدة وقفات مع سوة النور؛ فالنور يقترن بالمعرفة والإدراك، يفتح الأبواب المغلقة بداخل العقول وينير عتمتها ويلهمها إلى طريق الصواب.

كذلك اختار الكاتب الحديث الشريف وقفة في أحد الفواصل فذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"سبعة يظلهم الله تعالى بظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل،

---

(١) ص ٢٤٥ ليالي دبي شاي أخضر
(٢) ص ٣٠٣ ليالي دبي شاي أخضر
(٣) ص ٣٠٧ ليالي دبي شاي أخضر
(٤) ص ٣٥١ ليالي دبي شاي أخضر

وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه."[١]

كذلك اختار بعض الوقفات من مقولات شهيرة للأمام علي بن أبي طالب، وذلك خلال ذكره لوقائع تاريخية تسجل فترة حرجة انقسم فيها المسلمون بين مبايعة علي ونصرته وبين الوقوف مع معاوية بن أبي سفيان، نذكر منها:

(قال الإمام علي في جمع من الناس بعد يأسه من جمعهم، أيها الناس المجتمعة: الطاعة لا تشترى بالمال، ولا يقام أمر المسلمين بالرشوة..)[٢]

(يقول الإمام علي بن أبي طالب: اللهم إني قد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني وحملوني على غير خلقي وعلى أخلاق لم تكن تعرف لي، فأبدلني بهم خيرًا لي منهم وأبدلهم بي شرًا مني..)

وقال أيضًا عن موقعة الجمل: (من الشرك فروا، وإن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا.. إنما هم إخواننا بغوا علينا

---

(١) ص ٢٦٦ ليالي دبي شاي أخضر
(٢) ص٤٢٠ ليالي دبي شاي أخضر

إنما اقتتلنا على البغي ولم نقتل على التكفير.)[١]

اقتباسات شعرية

ونبدأ هنا بسرد بعض المقاطع الشعرية التي استحضرها الكاتب ليثري بها روايته ويزيد من جرعة الإمتاع الأدبي:

يبدأ الكاتب بهذه الأبيات للشاعرة لمياء عوض:

وحدك تحتل مساحاتي
وتفك صمتي وقيودي
ذائبة كشموعي بليلي
عشقك يستوطن نبضي
أنفاسك تقاسمني آهاتي
وتقدم قلبك قرباني
وتصير بحنانك وطني
وبغدق تسكن محرابي
فتوسدك ليلة فرحي
وتدثرك حلة عيدي.[٢]

هذه الأبيات التي تعبر عن شعور وردة تجاه كاظم لها، بينما هو ما زال لا يراها ولا يشعر بها.

---

(١) ص ٤٢٦ ليالي دبي شاي أخضر
(٢) ص ١١ ليالي دبي شاي أخضر

ثم نجد بعض الأبيات للشاعر عادل جلال..

فقط في عيني بتروفا
بلا أب وأم أولد من عينيك
وبلا موسيقى جنائزية
أو أحد يحمل نعشي
أموت ولا أبعث إلا عندما
أولد ثانية من صوتك
ولو عبر الهاتف
فما بالك بـ ......[١]

ثم يهدينا في أحد الفواصل هذه الأبيات من نظم الشاعر جمال بن حويرب:

خذوني إليها واتركوني ببابها
لتسمع دقات الفؤاد المعذب
وإن هي لم تفتح فذلك شأنها
فأبواب قلبي فُتحت للمعذب
وما رابني قلبي إلا قساوة ردها

---

(١) ص ٤٧ ليالي دبي شاي أخضر

وقد خلقت من كل حلو مهذب
أنادي وكم من حاسد متربص
عذول وكم واشٍ بنا ومكذب
أقول لها لا تسمحي بمدلّه
محب على طول الزمان مجرب
ويوسف حبي لو علمت بحسنه
لغلقت حولي كل باب مبوب.(١)

وكأن لسان حال الكاتب يناجي الوطن معشوقته الأولى والأخيرة التي تقابل عشقه بالصد.

ومن قصيدة سامنتا للشاعر عاطف الجندي أهدانا الكاتب هذه الأبيات:

لا وقت عندي الآن كي
أهب الخلود لبائع الغاز الذي
قرع السكون مناديًا
كي يخرم العينين من ألق البراح
ويحرّم الأرز الذي
دومًا تقاسمني الملائكة الكرام
بطعمه.(٢)

---

(١) ص ٢٤٥ ليالي دبي شاي أخضر
(٢) ص ٤٧٤ ليالي دبي شاي أخضر

الرواية

كعادة السيد حافظ يفاجئنا دائمًا بأعمال مختلفة؛ فها هو يسرد في داخل أحداث الرواية الأصلية رواية أخرى، لا نستطيع أن نطلق عليها اسم رواية فرعية؛ فكلتا الروايتين تسيران على النهج متوازيتين؛ وكثيرًا ما تلتقيان؛ فما أشبه الليلة بالبارحة؛ وأحداث اليوم لا تختلف كثيرًا عن الأمس في بلاد يعشق أهلها الروتين.. تكرار نفس أسلوب الحياة، الكسل والتراخي، والإيمان بقضاء الله حتى درجة التواكل، وأن كل ما يحدث لهم لا يمكن تغييره..

فنرى هنا رواية شمس والحاكم بأمر الله ترويها شهرزاد لسهر، وتسرد لها حال مصر وقت حكم هذا الحاكم الذي ظلمه التاريخ بعدما شوّه صورته من عاصروه ولم يعجبهم عشقه للوطن ورغبته في إصلاح ما أفسده من قبله؛ فكانت نهايته.. وراح ضحية مؤامرة شاركت فيها أخته ست الملك والكثير من الأطراف التي كرهت عدله وورعه.

المسرحية

ليلة اختفاء الحاكم بأمر الله..

ليس من السهل على الكاتب أن يتخلى عن مشروع إبداعه

الذي استمر فيه لسنوات طوال، وحين ينطلق في درب السرد الروائي لن تخلو جعبته من المفاجآت؛ وها هو في كل رواية من روايات السباعية يهدينا نصًا مسرحيًا؛ فنعيش معه أحداث هذه المسرحية ويتحرك أمام أعيننا الممثلين على خشبة مسرح الخيال، ولا يجد الكاتب أية مشكلة في أن يأخذنا في هذه الرحلة.

ومن خلال أحداث المسرحية تظهر لنا شخصية المرأة القوية؛ فنجد ست الملك هذه الأميرة الفاطمية حادة الذكاء، التي ساعدت في صقل شخصية أخيها الحاكم بأمر الله، والتي كانت تطمع في حكم مصر بعد وفاة والدها العزيز بالله.

ولكن لم يكن بالأمر اليسير أو المقبول في هذه الفترة أن تحكم امرأة، ورغم ذلك ظلت بجوار أخيها تعطيه المشورة حتى غضب منها وأبعدها عن قصره؛ فاشتعلت غضبًا منه، وغلبت أطماعها حبها لأخيها.

في حوار دار بين ست الملك وابنة أخيها ست مصر تقول ست الملك: المتطرفون الإسلاميون قد يكونون هم السبب في تلك الجريمة.

فترد ست مصر في حوار لاحق لتقول:

إنه الحاكم بأمر الله.. المصلي التقي الورع الإنسان المسكون بهاجس العدل والمساواة.

ولكن ست الملك تعلم من تآمر ضده ومن قتله، وتستمر في تنفيذ خطتها فتطلب مبايعة الظاهر بن الحاكم بأمر الله؛ فهو ما زال صغيرًا تستطيع السيطرة عليه فتكون بذلك الحاكم الفعلي للبلاد.

ثم تنصحه بأن يلغي كل القوانين التي سنها والده، لكي يعود الناس للسهر، وتغيب عقولهم فيسهل السيطرة عليهم.

هكذا يفعل الحكام في كل زمان، يبيحون للناس كل وسائل الفساد؛ لتغيب عقولهم عن التفكير وينشغلوا بالمحرمات.

كونشيرتو

أدخل الكاتب فنًا جديدًا من فنون الإبداع في هذه الرواية، وهو فن الموسيقى..

إذ لم يكتفِ الكاتب باستحضار أغنيات لفيروز وليلى مراد ونجاة وعبد الحليم حافظ وعبد الوهاب؛ بل تحدث كذلك عن فن الموسيقى في فاصل أطلق عليه اسم كونشيرتو..

تحدث فيه عن موسيقيين مشاهير، وعن أهم أعمالهم.

وقد حدد الكاتب الكونشيرتو وهي مقطوعة موسيقية أُعدت للعزف على آلة واحدة أو اثنتين أو ثلاثة وباقي الفرقة في الخلفية.

وربما اختار هنا الكاتب مقطوعة الكونشيرتو ليعبر عن كل

شخصية على حده، أو أن يوضح أن كل شخصية من شخصيات رواياته تعيش عالمًا منفردًا، نسجت تفاصيله في خيالها بمفردها، ليكون لها وحدها.

فالأدب والموسيقى توأمان لا ينفصلان، والكثير من الأدباء والشعراء ارتبطت أعمالهم الأدبية بأعمال موسيقية، ونحن هنا في ضيافة مخرج مسرحي مخضرم، فكأنه يضع الموسيقى التصويرية للعمل، لنعيش معه الأحداث.

وها هو يختار في أول كونشيرتو لعازف الكمان الفنان الإسباني إدوارد لالو هذا العازف الذي اشتهر بكونشيرتو التشيللو وكذلك كونشيرتو السيمفونية الإسبانية التي اشتهرت عالميًا.

ربما لأن آلة التشيللو تأخذنا معها في رحلة بصحبة الشجن، وكأن هذا الصندوق يحمل بداخله الكثير من الذكريات.. تمامًا كصندوق ذكريات فتحي رضوان الذي لا يفرغ أبدًا من الحكايات.

أما الكونشيرتو التالي فيتحدث فيه الكاتب عن (الفصول الأربعة) للموسيقار الإيطالي أنطونيو فيفالدي، وتحدث الكاتب عن أثر كل من بيتهوفن وموتسارت على ظهور الكونشيرتو بشكله الحالي.

ثم يعود ويذكر باخ ورائعته (الآلام) ويحكي عنه في لمحة

سريعة وأنه من أعظم من كتب الكونشيرتو في القرن الثامن عشر حتى الآن.

ثم يتبعه بكونشيرتو ثالث بصوت الكمان الهادئ الذي يتسلل إلى الروح ثم يزلزلها بهمس أوتاره، وهذه المرة من تأليف الموسيقي الأرمني آرام خاتشا دوريان.

ثم يبدأ الكاتب الحديث عن موزارت الذي أثرى عالم الموسيقى بالعديد من روائع الفن التي زلزلت عرش الأوبرا بـ ٤١ سيمفونية و ١٨كونشيرتو من أبدع الأعمال الفنية.

والكونشيرتو الرابع هو كونشيرتو ثلاثي العزف تتشارك فيه آلات التشيللو والكمان والبيانو من تأليف بيتهوفن.

ليعود بعده الكاتب في الحديث عن الثورة الألمانية (التي اندلعت في دول الاتحاد الألماني) عام ١٨٤٨في شكل سلسلة تمرد واحتجاجات.

وكيف بثت روح الحماسة في نفس الموسيقار والكاتب المسرحي الألماني ريتشارد فاجنر فأعطت أعماله الروح الثائرة، وقد كان أحد الموسيقيين المفضلين لدى هتلر.

وبعد الثورة والفوران يعود بنا الكاتب إلى الرومانسية مع الكونشيرتو الخامس للموسيقار سيرجي رحمانينوف.

فالكاتب يتنقل بنا ما بين الثورة والرومانسية دون أية غضاضة؛ فالعشق يتأرجح ما بين الثورة والهدوء، ما بين

القسوة والحنان، ما بين النار والثلج.

وفي الوقفة السادسة مع الكونشيرتو نلتقي بالمايسترو والملحن النمساوي يوهان شتراوس الابن.

يتحدث الكاتب عن رائعته الدانوب الأزرق، وكذلك الأرملة الطروب.

كل من عليها خان

الرواية الرابعة في السباعية الروائية التي تحمل بين طياتها هموم وطن وحكاية ٧٠٠٠ سنة شجن..

اعتدنا أن نبدأ الرواية بالعنوان الذي يختاره الكاتب، لكن الكاتب كما عودنا ديموقراطي، يمنح القارئ مساحة من الحرية؛ فربما كانت هذه هي أكثر أوقاته تمتعًا بالحرية، وربما لم يختبر هذا الشعور من قبل؛ فيضع الكاتب تحت العنوان جملة "العنوان الأول المقترح للرواية"، ثم يليه عنوان ثان مقترح وثالث ورابع وحتى السابع، وكأنها سلسلة عناوين أخرى للروايات السبع أو للسنوات السبع..

ثم يقول لنا الكاتب (صديقي القارئ يمكنك الآن أن تختار عنوانًا من السبعة، وتبدأ في قراءة الرواية بالعنوان الذي اخترته أنت.. ودعك من اختياري؛ فأنت الآن شريكي من الآن.)[١]

ما هذه الثقة التي يضعها الكاتب في القارئ؟ خاصة في زمن انصرف فيه الناس عن القراءة، بعدما التهمت برامج التواصل أوقاتهم وبعدما كان الشباب والشيوخ يلتقون في

---

(١) ص ٩ كل من عليها خان

المقاهي لتبادل أطراف الأحاديث، والمناقشة في أمور البلاد من حولهم، وربما إيجاد الحلول لبعض مشاكلهم الصغيرة بتعاونهم مع بعضهم، أما الآن فلم يعد هناك وقت للحديث، وأصبح كل منهم في عالم خيالي ينعزل فيه عن الواقع ويعيش فيه ويصدقه.

وفي لمحة سريعة نستعرض العناوين المقترحة من الكاتب:

العنوان الأول: كل من عليها خان.. استلهم الكاتب هذا العنوان من الآية القرآنية في سورة الرحمن "كل من عليها فان" هذه السورة القريبة من نفس فتحي رضوان، مع تغيير كلمة فان واستبدالها بكلمة (خان)

فالخيانة طبع متأصل في كثير من البشر، بدءًا من خيانة أنفسهم حتى خيانة أوطانهم، وما أكثر الأمثلة التي قابلها الكاتب خلال يومياته وسيرته الذاتية أو استعرضها في شخصيات هذه الرواية، وما أكثر الخيانات حول الحكام..

العنوان الثاني: فنجان شاي العصر.. وكما عودنا السيد حافظ على العناوين المرتبطة بالمقهى والمشروبات المقدمة فيه التي تتحسس همس المرتادين عليه وتسترق السمع لحكاياتهم وسرد أشجانهم، فاختار الكاتب عنوانًا يتناغم مع عناوين الروايات السابقة.

العنوان الثالث: الرائي.. تعريف الرائي في اللغة هو من يرى

الأشياء، اشتقاقًا من الرؤية..
وهذه الرؤية إما أن تكون بالبصر أو بالبصيرة وشتان بين هذه وتلك.
العنوان الرابع: العصفور والبنفسج.. هذا العصفور (قلب العاشق الذي ظل يلازم سهر في بلاد الشام حتى سافرت إلى دبي، والبنفسج هذه الزهرة التي ارتبطت بالشجن والحزن الدفين في الأعماق.
العنوان الخامس: كل من عليها جبان.. ترى هل من الحكمة أن يتحلى البشر ببعض الجبن كي لا يواجهوا الخطر ويهربون من بطش الحكام؟
أم أن المواجهة هي الأفضل وإن كانت نتائجها غير محسوبة!
العنوان السادس: كل من عليها هان.. بعد الهزيمة الداخلية يفقد الإنسان كل رغباته، وتهون في نظره كل الأشياء والأشخاص.. وفي وطن يهزم فيه الإنسان ويصبح بلا قيمة تهون كل الأشياء في عينيه بعد ذلك ولا يعد هناك شيء يستحق الاهتمام.
العنوان السابع: كل من عليها بان.. بعد الهزيمة تتضح في عينيك الأمور وتفقد بريقها الذي يعمي العين عن فحواها، فتبدو على حقيقتها..

مقدمة بسيطة حملت من المعاني الكثير، حين قال الكاتب:

(وكيف تكسوني مصر ولو طلبت منها إبرة لأخيط بها ملابسي، رفضت وقالت من أين؟ وأنت أدرى بالحال.. والله لو جاء يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء والملائكة ضمنًا يطلبون منها إبرة لي لرفضت واشتكت لهم الأحوال)[١] تذكرنا بكلمات قالها فتحي رضوان في نفس الرواية:

(الوطن ليس منزلاً أو سكنًا وجيران.

الوطن من يعطيك سندًا وعونًا وأمانًا.

الوطن يشرب لشاي ليلاً ونهارًا بجنون الظمآن.

الوطن خدعة أو ورقة وقطعة قماش تسمة علمًا..)[٢]

آه من وطن يبخل على أبنائه، وحين يطلبون منه أبسط حقوقهم يشكو لهم ضيق الحال، فمن إذن يحنو عليهم ويتكفل بهم؟

ثم يقدم السيد حافظ تعريفًا آخر للرواية "في رأيه وبمفهومه الشخصي" (الرواية هي سرد، والسرد يعني التاريخ، والحكاية والزمن الإنساني واللغة الحية التي تملك الدهشة الشاعرية، وإذا أردت أن تكتب سردًا اكتب شعرًا.. وإذا نقُص

(١) ص ١٠ كل من عليها خان
(٢) ص ٢١ كل من عليها خان

ضلع من هذه القواعد لن تكون رواية بل حكاية ضعيفة.
قد تكون الحكاية الشفاهية والحكاء الشفهي للرواية أكثر قوة وإبداعًا من الحكاء الورقي.. لذلك الرواية الورقية تحتاج للتحفيز والدهشة المستمرة دائمًا لتكون قادرة على المواجهة والصمود.)[١]

وتبدأ حكاية الروح الرابعة (البنت وجد والولد نيروزي وثورة النساء..)
عنوان يحفز شهية القارئ، ويثير حواسه، فحكايات العشق دائمًا تبعث في الآفاق عبيرًا، وتترك في القلوب سحرًا، وتخطف الوعي ليرحل معها في رحلة إلى عالم الخيال.
وأما ثورة النساء فلها وهج آخر، يشحذ أفكار الرجال ليعرفوا كيف كان حال النساء في سالف العصر والزمان..
وتبدأ الأحداث من حيث انتهت في ليالي دبي بحكاية سهر وفتحي، وهذا العشق الذي نما بينهما فجأة دون مقدمات، وكيف استسلما له دون الخوف من الوقوع في المحظورات؛ فحين تستيقظ وحوش الغريزة لا تشبع من الانغماس في الشهوات..

---

(١) ص ١٢ كل من عليها خان

وتبدأ شهرزاد بإثارة موضوع هام من خلال حديثها مع نفسها عن أنواع العشق، وكيف يكون هناك عشق حلال وعشق حرام.. أما فتحي رضوان كعادته يتنقل في كتاباته وحواراته مع نفسه ومع سهر عبر الزمن، فهو لديه آلة الزمن الخاصة به تنقله حيث يشاء، فمرة يذهب إلى الإسكندرية في زمن بطلميوس، ومرة في زمن الإسكندر الأكبر حين بناها بعدما رسمها له "هوميروس"

ويحاول فتحي رضوان رسم صورة في خياله للوطن بينما يسكن بعيدًا عنه، فمرة يراه عجوزًا غامضًا، ومرة يراه ضخمًا وكبيرًا، ومرة يراه يسكر مع الخونة والعملاء دون حياء.. يغير جلده مع كل حاكم جديد ويغير دينه مع كل نبي..

ويذهب الكاتب بنا بعيدًا هذه المرة، فيصل إلى آدم وحواء بعد هبوطهما من الجنة، ويروي تفاصيل حكاية قتل قابيل لأخيه هابيل أول جريمة يقترفها البشر على الأرض، ثم يصور لنا مشاعر الندم التي انتابت قابيل بعد قتل أخيه وكيف خيم الحزن على الأسرة كلها...

فحتى القاتل قد يظل لديه بعض الضمير لم يفارقه بعدما أثم.

ونجد هنا أن الكاتب يبدأ في أسلوب جديد للسرد في هذه الرواية، فقد استخدم فواصل مسرحية قصيرة جدًا ذات المشهد الواحد.. مسرحيات تنتمي بالروح للمسرح

السياسي، وفي الشكل إلى المسرح التجريبي.. ولمَ لا؛ فكاتبنا هو مؤسس المسرح التجريبي في مصر والوطن العربي.

وتستمر معنا الأبيات الشعرية لشعراء مصريين وعرب، مع المداخلات التاريخية التي ينثرها فتحي رضوان من خلال كتابة (يوميات رجل يضاجع الوطن) فنلاحظ الرؤية الاستباقية أو استشراف المستقبل؛ فهذا اسم الكتاب الذي سيصدره الكاتب فيما بعد بعدة سنوات.

وفي بُعد آخر، وعالمٍ موازٍ لعالم فتحي رضوان وفتوحاته على الزمان تنطلق رحلة شهرزاد وتحمل سهر على جناحها لتنتقلا إلى مصر في عهد المستنصر بن الظاهر بالله بن الحاكم بأمر الله ..

هذا الطفل الذي حكم مصر وعمره ٧ سنوات ..

هذا الذي يذكرنا بالمثل المصري القديم (يخلق من ظهر العالم فاسد) نعم فقد كان المستنصر عكس جده تمامًا، وكل ما حرمه جده الحاكم بأمر الله أباحه المستنصر وعادت مصر لحالة الفوضى، والظلام وانتشر الكسل وغابت الفضيلة في حضور الرذائل..

وكانت سعادة الشعب لا توصف، وزادت نقمتهم على الحاكم بأمر الله، فهم شعب يعشق الفوضى والانحلال..

وكانت رحلة شهرزاد للبحث عن وجد "روح سهر الرابعة" تلك الفتاة الجميلة المتفردة، زهرة لا مثيل لها في البستان .. أو كما أطلق عليها الجيران " مسك ".

وهنا يأتي دور المسرحية: ليلة وفاة الظاهر بالله.

وتدور أحداث المسرحية في بلاط الملك وتبدأ بالراوي أو الشاعر يقول كلمة تعبر عما ستراه مصر في السنوات القادمة:

(عيني عليك يا بر مصر عيني على الخلايق.. مات الظاهر بالله شابًا يا ولداه.. اليوم الأحد ١٥ عمار سنة ٤٢٧هجرية وحكم البلاد عشر سنوات، واليوم يا بر مصر يحكمك حاكم جديد.. يحكمك إبنه أبو تميم معد بن الظاهر، يبقى جده الحاكم بأمر الله، واليوم يا شعب المحروسة يبدأ مشوارك للحياة مع المستنصر بالله)[١]

وأي مشوار !!!

ونجد خلال المسرحية أن معظم المحيطين بالملك الجديد نساء، حيث نجد والدته (الجارية السابقة سكينة) وعمته ست مصر والجواري اللاتي يردن التقرب منه وما زال طفلاً في السابعة من عمره.. وتبدأ فصول مأساة مصر مع

---

(١) ص ٤٦ كل من عليها خان

المستنصر أو ما سُمّي بالشدة المستنصرية.. هذه الحقبة التي لم يمنحها التاريخ سوى بضعة سطور فقط، وقليل من المؤرخين من وصفوها أدق الوصف؛ فنجد السيد حافظ كعادته بحث وفحص وفنّد ونقّح كل ما كتب عن هذه السنوات السبع، لينقلها لنا من كل الزوايا بكل شفافية..

ويا لها من سنوات عجاف مرت على شعب بسيط وكأنها عقوبة من السماء على اختفاء الحاكم بأمر الله وما اقترفوه من آثام بعده..

ولعل الحديث عن السنوات العجاف قد دار بذهن الكاتب فأتبعه ببردية قديمة "نوع جديد من الفواصل" كانت عبارة عن رسائل من الشعب لسيدنا يوسف عندما فسّر حلم العزيز وتنبأ بالسنوات العجاف وبدأ يجمع الغلال لتخزينها استعدادًا للسنوات القاحلة، كل سنة برسالة تحمل بين طياتها فصول الأزمة وتطور الأحوال خلال السنوات العجاف.

أسلوب آخر لأدب الرسائل عرفه قدماء المصريين ووثقوه على أوراق البردي..

وفي لمحة تاريخية أخرى يستعرض الكاتب تاريخ بناء الجامع الأزهر وسبب تسميته بهذا الاسم، ويشير إلى أنه كان رمزًا للمذهب الشيعي (تذكروا هذه المعلومة التي سنحتاجها في الأجزاء التالية) وما بين زيارات الشخصيات

لفتحي رضوان في أحلامه، ولقاءاته بسهر في شطحاته حكايات وحكايات..

مقتطفات من كتاب شخصية مصر للكاتب جمال حمدان يصف فيها حال مصر خلال ٥٠٠٠ سنة الذي لم يتغير كثيرًا حتى الآن..

ويتقمص الكاتب شخصية الحكاي أو الحكواتي على لسان فتحي رضوان ليحكي حكايات جيرانه، فهم بلا شك عينة من الشعب المصري في حلتّه الحديثة، وعلى الخط الآخر حكايات الشارع المصري في عهد المستنصر واشتداد الأزمة والمجاعة..

سنوات سبع عجاف في عهد المستنصر وبرديات سبع رسائل ليوسف.

وتنتهي الأحداث بثورة النساء، بعدما خان الرجال أنفسهم ووطنهم، ولم يعد منهم سوي القليل بعدما تجردت النفوس من آدميتها وأكل البشر بعضهم أحياءً وأمواتا.. وتقدمت ست مصر ابنة الحاكم بأمر الله ومعها نساء مصر بالثورة على الأوضاع أمام قصر المستنصر.

وبعد الثورة وتصحيح الأوضاع عاد النيل بالفيضان، وكأن الله صفح عن مصر وشعبها وعفا عنهم..

اقتباسات من الشعر

الباب الذي تسكن فوقه العصافير.. لا يتحرك
الباب الذي تسكنه العصافير في الشارع
يقف منذ رحيل صاحب المفتاح
لا يرد على العابرين والباعة
"ويغلف حزنه بالأتربة"
الشاعرة منال محمد علي[١]

وها هي أبيات من قصيدة الشاعر عذاب الركابي يتذكرها فتحي رضوان في أحداث الرواية:

آه لو عندي أقدام
المطر!!
آه.. لو بدلتُ أحشائي
بأحشاء الشجر،
ما فاجأني البرد،
ولا جفف الضحكة في قلبي
القدر!![٢]

---

(١) ص ٣٦ كل من عليها خان
(٢) ص ١٠٥ كل من عليها خان

ثم يتذكر فتحي رضوان ثانية بعض الأبيات للشاعرة لمياء عوض بعد حديثه مع سهر:

أنا امرأة
أسكنت الشمس
سماء جدائلي،
ما بين خصلاتي
تحيا قصيدة
ويموت شاعر،،
على ضفيرة شعري
تولد العصور،،
وما زلت لسكرة عشقك
عطشى بجنون.[١]

وها هي بعض أبيات أخرى للشاعر أحمد حنفي:

ينبئني الوجد
أن السماء..
سترسل في الليل أحجية للغريب
بأن "أطمئن"

---

(١) ص ١٠٦ كل من عليها خان

فليس سوى الوطن الآن متسعًا
وليس سوى النورسات مصابيح تسطع فوق النحيب
لكي لا تئن
فأنت لها الآن أسطورة صنعتها الوشاية..
أنت الغواية والمفتتن.[1]

يلحقها بأبيات أخرى للشاعرة الينا مدن:
حبك اكتفاء
لمساتك تسري على جسدي
تستفز الفرح
يرتدي ملابسه المزركشة
يعطر وجه النهار
يلغي الحزن مواسم بذاره
الفزع بعينيه. مرتبكًا أشار إليّ: اجلس.
لبس قناع وجهه، قبل أن يبدأ حديثه معي
يرحل بدرب لا شبيه له.[2]
ثم أبيات من قصيدة الشاعرة ريتا عودة تعقيبًا على حالة الارتباك التي تعيشها سهر في بداية انجذابها لفتحي

---

(١) ص ١٤١ كل من عليها خان
(٢) ص ١٤٣ كل من عليها خان

رضوان:
الروح
تشتهي عكس الجسد
والروح تعشق ابن الغجر..
لا شيء الآن
بيني
.... والجنون
سوى
هذا الضجر المضيء
وقمر..
لا شيء الآن
يحاصرني بالظنون
سوى
عصفور طريد
وبعض مطر.(١)

ثم فاصل بالعامية مع كلمات من نظم الشاعر محمد تقي الدين:

(١) ص ١٤٥ كل من عليها خان

ف أول صفحة بسم الله
بداية كل شيء موجود
وصفحة فيها إبداعي
وصفحة فيها أوجاعي
وصفحة تشكي بصداعي
وصفحة حب بتراعي جميع الناس
وفيه صفحة كمان بيضا
ولسه ماجاش عليها الدور
ولسه العندليب بيقول
ولا بتهدى ولا بترتاح
لآخر السطر كان مسطور..[١]

البرديات

في إضاءة تاريخية جديدة على شكل فاصل تأتينا برديات تحكي قصة سيدنا يوسف في مصر والسنوات السبع العجاف تزامنت كل بردية وسنة من السنوات العجاف مع سنوات الشدة المستنصرية في الرواية.

في أسلوب رشيق يقفز بين الأزمان، في مقاربة بين زمن

---

(١) ص ٢٢٦ كل من عليها خان

سيدنا يوسف الذي يعتقد البعض أنه عاصر الملك زوسر من الأسرة الثالثة غير أنها مجرد تكهنات لا يوجد عليها دليل قاطع، مع زمن المستنصر في عام ١٠٦٥

تُعد البرديات من أهم الوثائق التي سجلت حياة المصريين القدماء منذ آلاف السنين، وكانت خير شاهد على حضارتهم وتقدمهم وفسرت العديد من الأحداث القديمة، ومن أقدم وأشهر البرديات "برديات خوفو" التي يرجع تاريخها للأسرة الرابعة أي قبل نحو ٤٥٠٠ سنة وغيرها من البرديات الهامة في مجالات الحياة والطب التي استخدمها المصري القديم.

المسررواية

يدخل الكاتب عبر شخصية الراوية الساحرة الحرف شهرزاد المسررواية في داخل الرواية الأصلية، وفي هذه الرواية تحكي شهرزاد لسهر حكاية "نيروزي والبنت وجد" فندخل معهما في بعد زماني آخر لتروي لنا شهرزاد فصول الشدة المستنصرية وخفاياها التي طمسها الرواة وكتّاب التاريخ ليخفوا هذه الحقبة المظلمة من تاريخ مصر، وذلك في تداخل بديع ما بين السرد والنص المسرحي المتكامل، فنجد مزيجًا فريدًا تجد نفسك فيه على خشبة المسرح بطلًا بين الأبطال.

مسرحية قصيرة جدًا جدًا

فاصل من نوع جديد.. يهدينا الكاتب في هذه الرواية عدة نصوص مسرحية قصيرة جدًا جدًا كما وصفها الكاتب.. دون حوار تجد نفسك بين الشخصيات وكأنك جزء من العرض.. ضوء، حركة للشخصيات وتنتهي المسرحية، ولكنك تفهم، وتترك بداخلك حوارًا لم يكتب.

حتى يطمئن قلبى

كعادة الكاتب يفاجئنا دائمًا بانتقائه للحروف والكلمات بدقة بليغة، فنجده اختار لهذه الراوية عنوانين، قد يبدو الاختلاف بينهما مجرد عدة حروف بسيطة، لكن المعنى الذي يلقيه في قلوبنا يحمل الكثير من المفارقات والاختلافات..

ولا يمكن عبوره دون تعليق لنحيط ببعض المعاني التى أرادها الكاتب.

اختار الكاتب العنوان الأول: حتى يطمئن قلبي..

و"حتى" هو أحد حروف التعليل بمعنى (كي) حين يأتي بعدها فعل، تستخدم للغاية. كما ورد في الآية الكريمة في سورة طه :

(قَالُوا لَنْ نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ)[1]

وهي تشير إلى زمان المستقبل.

وكما قال الراعي النميري :

وما صرمتك حتى قلتِ معلنة لا ناقة لي في هذا ولا جمل.[2]

ولم يوضح الكاتب هذا الفعل بعد حتى منصوب أو مرفوع، إذ

---

(١) سورة طه الآية ٩١

(٢) ص ١٩٨ ديوان الراعي النميري

هناك فارق بينهما في الدلالة.
إذ يقول سيبويه: اعلم أن (حتى) تنصب على وجهين:
فأحدهما: أن تجعل الدخول غايةً لمسيرك، وذلك قولك:
(سرتُ حتى أدخُلَها) كأنك قلت: سرتُ إلى أن أدخُلَها، فالناصب للفعل ها هنا هو الجار في الاسم إذا كان غاية.
فالفعل إذا كان غايةً منصوب، والاسم إذا كان غاية جُرّ؛ وهذا قول الخليل.
وأما الوجه الآخر : فأن يكون السير قد كان والدخول لم يكن، وذلك إذا جاءت مثل كي التي فيها إضمار أن وفي معناها، وذلك قولك: كلمته حتى يأمر لي بشيء.
واعلم أن (حتى) يرفع الفعل بعدها على وجهين:
تقول: سرت حتى أدخُلُها، تعني أنه كان دخولٌ متصلٌ بالسير، كاتصاله بالفاء إذا قلت: سرت فأدخُلُها..
فالدخول متصل بالسير كاتصاله بالفاء، فكأنه يقول : (سرت فإذا أنا في حال دخول)[1]
وبمقاربة بسيطة بين الحالتين نجد أن الكاتب اختار حالتين دقيقتين مختلفتين، ففي الحالة الأولى باختياره لحرف حتى كان هناك مجال للشك ما بين الفعل المستقبل أو الحاضر..

---

(١) ص ٢٠٧ المجلد الثالث شرح كتاب سيبويه تأليف أبي سعيد السيرافي والحسن بن عبد الله المرزبان

ففي المستقبل (الفعل المنصوب) الذى ينتظره (مولود سهر) الذي ما زال موضع شك هل هو ابن فتحي أم أنه ابن منقذ، وهذا هو المعني القريب للذهن من خلال أحداث الرواية، وأما المعنى الباطني هو اعتراف الوطن بالبطل واهتمامه به بعدما أغلق الأبواب في وجهه في الكثير من المواقف.

أما في الزمن الحاضر (الفعل المرفوع) فهو ذاك الشعور الذي يؤكد للبطل أن مولود سهر ابنه، ولذلك نراه في كثير من المواقف يتخيله بجانب ابن تهاني في المهد (المعنى الظاهر) وكذلك هذا اليقين بداخل فتحي بأن الوطن مهما قسى عليه فلن يرده خائبًا ولا يوجد أي مجال للشك في ذلك (المعني الباطني) .

وأما العنوان الثاني: (ولكن ليطمئن قلبي)

حرف لكن هو حرف عطف يقع بين نقيضين ويفيد الاستدراك أي يثبت لما بعده حكمًا مخالفًا لحكم ما قبله.

ولكن اقتران حرف الواو (حرف عطف) بـ لكن يجعل لكن حرف ابتداء وهذا العنوان عبارة عن مقطع من الآية القرآنية في سورة البقرة: وَ(إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ

قلبي)[1]

وبهذا نجد العنوان الثاني الذي استخدم فيه مقطعًا من الآية القرآنية هو دلالة على اليقين والتأكد والاطمئنان، وأن السؤال ليس استنكارًا ولكنه زيادة في اليقين..

ففتحي رضوان على يقين أن الصبيّين من صلبه وأن الوطن مهما زادت قسوته فلن يرده أبدًا.

ويعود الكاتب إلى تدوين ملاحظاته، أو مفاتيح دخول هذا العمل وفهمه، فيؤكد على استخدامه لأسلوب المسرررواية، التي يكشف فيها أكاذيب التاريخ التي ترسخت في عقولنا، وينبهنا أن نفتح عقولنا لنمحو منها كل ما كتب، ونبدأ مرحلة جديدة من المكاشفة والوعي الصحيح.

ونجد أن الكاتب هنا تناول فترة هامة جدًا في التاريخ المصري والعربي وهي فترة سقوط الدولة الفاطمية (الدولة الوحيدة في مصر التي اتخذت المذهب الشيعي مذهبها ومقر خلافتها القاهرة) ثم ميلاد الدولة الأيوبية.

وترجع أهمية الزمن الروائي وبنائه كما تحدثت الكاتبة سيزا قاسم فتقول:

(يمثل الزمن عنصرًا من العناصر الأساسية التي تقوم عليها

---

(١) الآية ٢٦٠ سورة البقرة

فن القص.

فإذا كان الأدب يعتبر فنًا زمنيًا- إذا صنفنا الفنون إلى زمانية ومكانية- فإن القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقًا بالزمن.)[1]

وقد قسمت سيزا قاسم في كتابها الأزمنة إلى أزمنة خارجية (خارج النص) التي تتعلق بزمن الكتابة وزمن القراءة وأزمنة داخلية (داخل النص) مثل الفترة التاريخية التي تجري فيها أحداث الرواية ومدة الرواية وترتيب الأحداث ووضع الراوي لوقوع الأحداث...الخ.

وبتطبيق هذا الجانب والعودة إلى أحداث رواية (حتى يطمئن قلبي) نجد الكاتب السيد حافظ قد أبدع في هذا الجانب وتنقل بين أزمنة عدة للأحداث، وأزمنة مختلفة للخطاب أيضًا، وجمع بين العديد من الأزمنة الداخلية والخارجية دون أية عوائق.

فها هي شهرزاد تروي حكايا أرواح سهر في زمن الرواية الحديث (زمن الخطاب) في أواخر السبعينيات ولكنها تنقل لنا أحداث حكاية لامار وضوء المكان (مصباح) التي حدثت في أواخر عهد الدولة الفاطمية وتحديدًا في زمن الخليفة العاضد

(١) ص ٣٧ بناء الرواية- سيزا قاسم

ووزيره شاور.
حيث تلتقي لامار بهوى التي بدورها تتقمص دور الراوي وتروي حكايات حدثت في زمن آخر وهو زمن الآمر بأحكام الله جد الخليفة العاضد.
ثم ننتقل مع ذكريات فتحي رضوان وأوراقه القديمة إلى عام ١٩٧١
ورغم كل هذه النقلات الزمنية إلا أن الكاتب كان متمكنًا من أدواته، ولم نشعر معه بأية غربة عن الأحداث والأماكن وصرنا نألفها ونعيش مع أبطالها حتى اعتدنا على هذه النقلات التاريخية والقفزات، وهنا يحضرني حديث فتحي رضوان مع صديقه صبري الجمل من رواية كابتشينو حين قال الكاتب على لسان فتحي رضوان:
(أكره الفعل الماضي وأحن وأحب الفعل المضارع.. أما فعل المستقبل لا أكتبه أبدًا، الفعل الماضي من الفضة صنعه البشر والمضارع صنع بيد القدر.. أما فعل المستقبل فهو من القصدير صعنه قدر مجهول.. ويمطر عليه الرصاص رغم أن لونه أخضر، وطعمه سكر.. الفعل الماضي أرابيسك ومنمنمات، والفعل المضارع دفء حار ونفحة أنفاس وصور

سعيدة وخوف من نحس وإشارة ضوء للروح.)[١]

إسقاط عجيب على واقعنا المؤلم..

فالفعل الماضي الذي وصفه الكاتب بالفضة لامعة، لكنها ليست كقيمة الذهب، ذكر الكاتب أنها من صنع البشر، لكنك لا تحبه بسبب تزييفه وكذبه (إنه التاريخ الذي زُوِّر عن عمد) والفعل المضارع الذي صنع بيد القدر وتحن إليه بالفعل نحن نترك أنفسنا للظروف في معظم الأوقات، هكذا تعيش شعوبنا أيامها، تترك نفسها لتصرفات القدر.

والمستقبل قصدير رخيص ليس بأيدينا، بل بأيدي القلة الذين يتحكمون في مصائر الشعوب الضعيفة ويمطرونهم بالرصاص.

فحكايات كاتبنا تتنقل في الغالب بين المضارع ودفء أحضان الوطن التي لم يجدها البطل فلجأ لدفء النساء بديلاً عنها، وماضٍ يلمع من بعيد كالفضة، لكنك كلما غصت في أحداثه تكتشف الكثير من المؤامرات والكذب والنفاق.. (لوحة أرابيسك ومنمنات)

وكما تنقل الكاتب في العصور والأزمنة المختلفة، فنجده

---

(١) ص ٢٠٠ كابتشينو السيد حافظ

كذلك تنقل في أماكن مختلفة، ففي رواية (حتى يطمئن قلبي) تنقل الكاتب ما بين اليمن "موطن لامار الأصلي" ثم الشام، والعراق "مسقط رأس هوى" وفلسطين، ثم تحدث عن القاهرة والإسكندرية في عصور مختلفة وكذلك دبي في العصر الحديث.
وسوف نستعرض معًا لمحات مما دونه كاتبنا عبر جولاته الزمكانية في أرجاء وطننا العربي قديمًا وحديثًا:

القاهرةالفاطمية

شهدت القاهرة الفاطمية حدثين أو فترتين هامتين تم سردهما في الرواية وهما الفترة خلال حكم الآمر بأحكام الله وانغماسه في اللهو والملذات وانشغاله عن حكم البلاد، وترك الأمور للوزير المأمون البطايحي الذي يتفق مع التجار ويتآمرون على الشعب الفقير المسكين.
وبينما يتربص عمانويل قائد الصليبيين ومساعده ديمتري ويقتربون من حدود مصر ينشغل الخليفة بأمور النساء، ولا يهتم بهذا الخطر الداهم.
ورغم معرفته بخبر اقترابهم إلا أنه يرسل وزيره في مهمة للبحث عن فتاة يريدها لتنجب له وريثًا للعرش دون حتى أن يهتم بالحفاظ على هذا العرش.

ثم نجد عصر الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين الذي لا يختلف كثيرًا عن سابقه الآمر بأحكام الله، فنجده يترك أمور الحكم في أيادي وزرائه، حتى أنه لا يجرؤ على مواجهتهم..

ربما يعود ضعف هؤلاء الحكام لتوليهم الحكم بينما ما زالوا أطفالًا..

ونجد العاضد يتآمر على وزرائه للتخلص منهم لعدم قدرته على مواجهتهم، فهو أضعف من ذلك، ولا عجب أن يستعين بصلاح الدين لقتل وزيره شاور.

وهنا نجد أيضًا مثالًا لحارتين من حواري القاهرة القديمة في زمنين مختلفين..

حارة برجوان: مثال الحارة الفقيرة وأهلها البسطاء في عصر الآمر بأحكام الله..

زعتر، قنديل، عم شعبان، سنية..

هؤلاء البسطاء وأحلامهم المتواضعة، ومشاكساتهم مع الأيام ومع بعضهم البعض لكسر رتابة الأيام؛ فنجد مشاحنات أحمد وقنديل زوج أخته حفار القبور، والعطار زعتر الذي يتشاءم من قنديل.

هموم بسيطة يهربون بها من رتابة الأيام وكآبة المنظر المحيط بهم، فهم لا يملكون شيئًا وقد سرقهم التجار بعد تآمرهم مع الوزراء..

مؤامرات في كل مكان، وحاكم مات وحاكم جاء..
حارة شيحا: لا تختلف كثيرًا عن حارة برجوان رغم اختلاف العصر؛ فنحن هنا في عصر الخليفة العاضد..
نجد سرور بائع الطيور وشيحا الحداد وابنه ضوء المكان الذي يحاول التمرد بطريقته "طريقة الشطار" هؤلاء اللصوص الذين يسرقون من قصور الأثرياء ليطعموا الفقراء على طريقة روبن هود.
ولا عجب أن نجده يقسم للفتاة لامار بشرف الشطار وليس شرف التجار؛ فهو مقتنع بأنه أشرف من هؤلاء الذين يتاجرون بأرواح الناس ويستبيحون قوتهم ويحرمونهم منه.

اليمن والبصرة

الحال في مصر لا يختلف عن الحال في بقية البلدان؛ فها هي القبائل تُغير على بعضها إذا ما اشتد الفقر، يخطفون الفتيات والغلمان ويبيعونهم في أسواق النخاسة للأمراء والأثرياء في مصر والشام.
فنجد قصتين تتفقان في البداية وتتكرران في معظم الأماكن.
قصة لامار التي خُطفت من نجران حينما سافر والدها أبو بكر إلى الشام للتجارة وحين عاد فوجئ بخطفها فأقسم أن يبحث عنها ولا يعود إلا بها، وقصة هوى التي خُطفت أمام

الشاب فادي الذي كانت تلتقي به، ولكنه لم يحاول حمايتها وقبض ثمنها.

الإسكندرية

يقول الكاتب "مدينة لا تشبه أيًا من المدن.. يجري فيها أنواع من دماء الناس.. دم الرومان والإغريق والعرب والفراعنة والفرس والأحباش والنوبيين وعبيد أفارقة.. كلها صارت في لحمة واحدة ومزيج واحد أصبح هو الإنسان المصري."[1]

وهنا نرى الكاتب يصور حال أهل الإسكندرية على مختلف عروقهم التي انصهرت في بوتقة عشقها، وتمازجت فيها طباعهم، عشق البحر، والخروج إلى الشاطئ، الهواء وصيد السمك.

ونرى من خلال أحداث الرواية عدم انسجام أهل الإسكندرية مع صلاح الدين الأيوبي، هذا القائد القادم على رأس جيشه ليواجه جيش عموري قائد الصليبيين، مما وضع الإسكندرية في حصار خانق استمر لثلاثة أعوام لم يدرك خلالها صلاح الدين القادم من الصحراء أثر ذلك الحصار في نفوس أهل الإسكندرية وحرمانهم من البحر.

---

(١) ص ٢٢١ حتى يطمئن قلبي

ورغم هذا الاختلاف إلا أنهم لم يسلموه للصليبيين وتحملوا معه الفقر والجوع.

ويذكر الكاتب في ذلك: "يقول صلاح الدين عن فترة حصاره في الإسكندرية (والله لو أعطيت ملك مصر ما سرت إليها، فلقد قاسيت بالإسكندرية من المشاق ما لا أنساه أبدًا.)"

ثم يعقب الكاتب على لسان شهرزاد: "نعم.. إن السلاطين والقادة ينكرون فضل الشعب عليهم وخاصة العسكر، يظنون أنهم أصحاب اليد العليا دائمًا على الشعب.."(١)

القاهرةالأيوبية

في ليلة واحدة تحولت مصر من المذهب الشيعي إلى المذهب السني، ورفعت رايات الدولة العباسية، ونكست رايات الدولة الفاطمية.

وعن القاهرة يقول السيد حافظ: "أشعل فيكِ شاور النار ١٤ يومًا بسبب أن أحد الرعاع سبّه أثناء مروره في السوق، ومات الآلاف.. ثم أشعل شاور في بيوت الأثرياء والفقراء في مدينة الفسطاط النار ومات المئات وكان الحريق هذه المرة كي يمنع دخول الصليبيين إلى القاهرة "العاصمة

---

(١) ص ٢٢٠ حتى يطمئن قلبي

الجديدة" فحرق العاصمة القديمة وأهلها، لكن صلاح الدين الأيوبي أحرق في تلك الليلة ستة عشر ألف مصريًا شيعيًا بحجة أنه يحارب الإرهاب الشيعي وأنه يحافظ على الإسلام والمسلمين.
آه يا مصر.. يا وجع القلب المحموم والمهموم، آه يا صراخ النسوة والأطفال خارج المساجد.. آه من المشهد المريع..
شاور الشيعي يحرق مصر مرتين، وها هو صلاح الدين السني يحرقها بفظاعة تفوق الخيال.."[1]

ونعود إلى رواية (حتى يطمئن قلبي) وتداخل الأجناس الأدبية وطريقة السرد، فنجد الكاتب نهج دربًا جديدًا لا يشبه الأجزاء السابقة، فكأنك تستمع إلى موجات الأثير، تتابع بثًا مباشرًا، يتضمن برامج يقدمها لك الكاتب في رسائل موجهة لتصحيح الكثير من الأخطاء التاريخية، وبرنامج الشعر العالمي الذي يبدو من عنوانه يتضمن دفقات شعرية لشعراء عالميين وأبرز ما كتبوا، ولم يغفل كاتبنا الشعراء العرب فخصص لهم برنامجًا.
والومضات التي تشبه القفزات عبر آلة الزمن التي تأخذنا

(١) ص ٣٠٢ حتى يطمئن قلبي

في زيارات خاطفة إلى بعض الأزمنة الأخرى غير أزمنة السرد الرئيسية؛ فمرة ينقلنا إلى عصر المماليك، ومرة يدهشنا بقصة قصيرة جدًا.

وكعادة البث المباشر هناك وقفات مع كل صلاة يرفع فيها الأذان بصوت أحد القراء العظام أمثال الشيخ محمد رفعت والشيخ صديق المنشاوى.

وفواصل أخرى عبارة عن صلوات.. ركعتان على روح جلال الدين الرومي، ركعتان على روح إخناتون..

وعلى الجانب الآخر يُدخل الكاتب فاصلاً جديدًا هو عبارة عن حلقات برنامج "حكايات قراقوش" ينقل فيها بعض المواقف التي تكشف لنا شخصية قراقوش المهتزة، الغير متزنة.

وهناك باب جديد أضافه الكاتب تحت عنوان "همسة" وهي عبارة عن رسائل لمعظم أبطال الروايات السبعة وكأن الكاتب أراد هنا أن يهديهم هذه الكلمات بصورة مباشرة، ثم هناك بعض الرسائل أوالهمسات من الأبطال لبعضهم البعض..

ثم البطل الحقيقي للسرد "المسرحية" التي نسجت في الرواية وصارت جزءًا متأصلاً فيها، وليست مجرد فواصل، أو مشاهد مقحمة؛ فنجد مسرحية "العالية والأمير العاشق"، ومسرحية "حكاية البنت لامار" في تداخل بديع مع أسلوب

السرد الروائي، نعيش معها أحداثها ونتخيل الأماكن بكل تفاصيلها التي أبدع الكاتب في وصفها لنا.

ومن هنا نتطرق إلى إشكالية المكان في أحداث الرواية، حيث يبدأ السرد كالعادة من دبي وشهرزاد تحكي لسهر حكاياها ثم تنتقل إلى سفوح جبال اليمن حيث الجدب والقحط وموطن لامار الأصلي، بينما ينتقل والدها إلى الشام، ثم تُخطف وتباع في القاهرة لتلتقي بـ "هوى" العراقية المولد، وكذلك حكاية قصر الهودج القصر العائم على صفحة النيل، عكا، طرابلس، نابلس، وكالعادة تبقى الإسكندرية الغائب الحاضر في حكايات فتحي رضوان ويومياته ومقالاته وذكرياته وأحلام البراءة قبل صدامه مع الأنظمة ورموز الوطن.

ورغم اختلاف الأمكان إلا أن الأحوال تقريبًا متشابهة.. والي أو حاكم وحاشيته ووزراؤه وجواريه وقصوره، ثم شعب فقير، حفاة، عراه، جائعون، وفي المنتصف فئة التجار المتآمرون مع حاشية الأمراء لكي ينالوا رضاهم ويزداد استبدادهم وتحكمهم في الشعب تحت غطاء الوزراء.

وهنا يحضرني قول (كولن ولسون) في كتابه فن الرواية..

"هناك عدد كبير من الروائيين الذين ينظرون إلى الماضي

بتوق، إلى حقبة من حقب الماضى.."[1]

ثم يكمل " حالمًا يصل كاتب من الكتاب إلى (رموز تعمقه) ، فإن مهمته الأساسية التالية هي أن يقدم بأكبر ما يمكن من الوضوح العالم الحياتي الجماعي بالمغايرة مع عالم البداهة. ويبدو هذا مباشرًا بدرجة كافية، بيد أن هناك تعقيدات.

إن قضية تصادمهما ليست بسيطة بساطة ضرب صنجين ببعضهما بعضًا".[2]

لقد اختار الكاتب فترة هامة وحرجة في تاريخ مصر وهي الفترة الانتقالية من عهد الخلافة الفاطمية إلى الدولة الأيوبية، ليس ذلك فحسب، بل إن ما يشكل الصدمة التاريخية للقارئ هو الأهم؛ فقد انتقلت الدولة المصرية من المذهب الشيعي إلى المذهب السني في ليلة واحدة أحرق فيها صلاح الدين الأيوبي ١٦ ألف مسلم شيعي في داخل المساجد أثناء صلاة العشاء وشرد وقتل حوالي ١٨ ألف آخرين مصريين ومن جنسيات مختلفة من موظفين وعمال وعبيد في القصور.

مؤامرات في كل مكان، ومحاكمات وهمية كتلك التي أقيمت

---

(١) ص ١٨٨ فن الرواية- كولن ولسون. ترجمة محمد درويش
(٢) ص١٩١ فن الرواية كولن ولسون

للتخلص من السهروردي، وإشارات لفساد القضاة والقضاء وتشكيل القوانين وفقًا للأهواء.

ويعود فتحي لسيرته، وبحثه عن إجابة تطمئن قلبه..

هل ابن سهر هو ابنه؟

وهنا يحضرنا موقف لا يمكن المرور دون التوقف عنده.. فعلى الرغم من تأكد شكوك منقذ بعدما سمع حديث سهر مع شهرزاد إلا أنه صارح سهر بأنه يريد هذا الطفل لنفسه، حتى لو كان ابن فتحي.. كذلك كان رد فعل عثمان حينما عرف بحمل لامار من غيره، ولكنه طلب منها أن يكون ابنه..

أحيانًا يختار البعض الرضا والاستسلام للقدر، فربما وجدوا فيه حلولاً لمشكلات لطالما أرقتهم.

وبعد كل هذه الصراعات في الزمن القديم والحديث، لا زالت النفس البشرية كهفًا يعج بالعجائب لا نحيط بخفاياه وأسراره، ولا نملك سوى المحاولة مرة بعد أخرى.

اقتباسات من الشعر العالمى

الشاعر جيمس جويس:

نظرة العينين الرقيقة الفتية الصافية، والجبهة الصادقة، والشعر الشذي، يتدلى كما الصمت يسقط الآن عبر عتمة الجو.[1]

من أشعار بودلير العظيم:

- من تحب أكثر، أيها الإنسان اللغز، قل؟ أباك، أمك، أختك، أم أخاك؟

- ليس لي أب ، ولا أخت، ولا أخ.

- أصدقاءك؟

- أنت تستعمل كلامًا لا يزال معناه حتى اليوم خافيًا عنّي.

- وطنك؟

- أجهل في أي خطّ عرض يقع.

- الجمال؟

- أحببته بطيبة خاطر، إلها وخالدًا.

- الذهب؟

- أكرهه كما تكره أنت المطلق.

- إذًا، ماذا تحب، أيها الغريب العجيب؟

- أحب الغيوم.. الغيوم العابرة.. هناك.. الغيوم الرائعة![2]

---

(١) ص ٩٦ حتى يطمئن قلبي

(٢) ص ١٣٣ حتى يطمئن قلبي

ثم نجد مقطعًا لبريخيت "العظيم":

أعطوني مسدسًا
وقالوا اقتل عدونا
وحين أطلقت على عدوهم
كان المقصود أخي
هناك يقف أخي
الجوع يوحدنا
وأنا أسير، أسير
مع عدوه وعدوي
هكذا يحتضر الآن أخي
وأنا من يذبحه
لكنني أعرف أنه لو هزم
فسوف أضيع أنا.[١]

وكأن الشاعر يصف حال العرب قاتل ومقتول بلا ذنب، دُمى تتحرك في يد العدو.

وهذا مقطع من أشعار لوركا:

---

(١) ص ٢٢٧ حتى يطمئن قلبي

إنك تخجلين القمر
وتبكين أشجار الحور الحزينة
غير أنكِ تأتين بعد فوات الأوان
بعد ما أكون قد لففت ليل روايتي
على رف السهر.[١]

وكأن فتحي رضوان يتحدث عن عشقه للوطن، وكذلك عشقه لسهر..

أما الوقفة التالية مع الشاعر أراجون:

يلذ لي أن أنزل
كما المسافة يقطعها الزمن
تحملني ذكرياتنا
يلزمك مكان أوسع
لتكوني دائمًا معي
أود أن أشاركك في حبنا المتفرد
أشد الأماكن حشدًا في العالم،
لكي نفسح مكانًا لأولئك الذين يتحابون مثلنا.
إنهم كثيرون لكنهم نادرون.[٢]

---

(١) ص ٢٩٥ حتى يطمئن قلبي
(٢) ص ٣٥٣ حتى يطمئن قلبي

إنه عشق فتحي رضوان للوطن، وذكرياته التي يحملها في قلبه أينما ذهب.. تتداخل مع ذكريات كاتبنا في شوارع وأحياء الإسكندرية موطنه الأصلي، وذكريات الطفولة والشباب.

اقتباسات من الشعر العربى

مع مقطع للشاعرة منال محمد علي:

ما أجمل الهزل
وقتما تجف الشفاه
لنبدأ العد..
قبلة قبلة
هي لم تمسك رأسها
إذ طابت وهو تلقفها بصدره
- كان الابتعاد موحشًا-
وقتها ظلت الكلمات
رطبة بفمها
فلا غاب الماء

ولا صح التيمم[1]

ومقطع آخر للشاعرة نجاة محمد صادق:

حاولت الابتعاد،،، فضعفت
وصدقت واندفعت.. فعبثت
وحرصت تمزقت وصرت
أشلاء ذائبة..
فتلاشيت..
وأحسست بالاختناق
فاندفعت بجنون، لأسأل مرآتي المستبدة عن
صورك، وحروفك.. تنهيداتك..
كتاباتك، فوضعت يدي على قلبي
فذابت واحتوتني نبضاتك
و......[2]

صورة تعبر عن مشاعر المرأة في العشق، وتعبيرها عنه.

ومضات أدبية

مجموعة من القصص القصيرة جدًا تلخص حالة عشق البطل فتحي رضوان للوطن، رغم كل ما يعانيه وطنه من

---

(١) ص ١٣٥ حتى يطمئن قلبي
(٢) ص ١٣٥ حتى يطمئن قلبي

تمزق وآلام، وكذلك تفشي الفساد في بلاده منذ القدم كما ظهر في الرواية في عصر الآمر بأحكام الله ثم العاضد وكذلك صلاح الدين والقضاة الفاسدين في كل عصر.. أدرجها كاتبنا تحت عنوان "ومضة".... ومنها:

"انتهيت من كتابة رسالة إلى الوطن ووضعتها في ظرف وأمسكت القلم لأكتب العنوان فلم أتذكره فوضعت الخطاب في سلة المهملات."[١]

"ذهبت إلى بيت حبيبتي في تلك اللحظة العميقة رأيت الواعظ جبته على الأرض وروب القاضي بجوارها، وقبعات الجنود فصرخت أين هي؟ واقتحمت الغرفة أبحث عنها فلم أجدها.

أغلقت الباب ومشيت.."[٢]

وفي ومضة أخرى يكتب المبدع السيد حافظ:

"كان يومًا سعيدًا أن ذهبت إلى الحزب كي أحصل على العضوية الوطنية أعطوني ملابس زرقاء وقبعة وحذاء وسجلوا اسمي وبطاقة هوية وطنية.. ارتديت الملابس ووضعت القبعة على رأسي ونزلت إلى الشارع كانت الناس تجري من أمامي بخوف وفزع.. ويشيرون إلي.. دخلت إلى

---

(١) ص ٢١٨ حتى يطمئن قلبي
(٢) ص ٢٩٣ حتى يطمئن قلبي

مقهى التحرير ذي المرآة الكبيرة في اليمين نظرت إلى نفسي فلم أجد رأسي."[1]

ثم ومضة نارية يطلقها السيد حافظ:

"هممت أن أرتدي الكرافتة في رقبتي وجدت يد القاضي الفاسد تشنقني.. ويساعده الشرطي المرتشي.. وحمل جثتي الشيخ وقال زنديق كافر." [2]

ثم ومضة أخرى:

"حلمت أن أقف على المسرح ويراني ويسمعني الجمهور.. وبعد طول العناء والغناء.. اكتشفت أن الجمهور الجالس في الصالة أصم وأعمى فقررت الخروج فاكتشفت أن الحراس يمنعوني وأنني سجين."[3]

الدعـــاء

أورد الكاتب دعاء الحسين على أهل العراق بعدما يئس من مناصرتهم له وحزنه حينما خذلوه وتركوه وحيدًا فقال:

"اللهم فامنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقًا، ومزقهم تمزيقًا، واجعلهم طرائق قددا، ولا تُرض الولاة عنهم أبدا؛ فإنهم دعونا لينصرونا، ثم عدوا علينا يقاتلونا..."

---

(١) ص ٣٥٢ حتى يطمئن قلبي
(٢) ص ٤١٣ حتى يطمئن قلبي
(٣) ص ٤٦٠ حتى يطمئن قلبي

ثم يتبعه الكاتب بدعاء موسى عليه السلام على المصريين فيقول:
"ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا، ربنا ليُضلوا عن سبيلك، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا، حتى يروا العذاب."[1]

وما زالت المسحة الصوفية تلازم الكاتب فنجد فاصلًا مختلفًا:
ركعتان على روح أبي ذر الغفاري.. ولا ننسى أن لأبي ذر الغفاري منزلة خاصة لدى الكاتب فهو يمثل الضمير والكلمة الصادقة التي لا تتلون ولا تتغير حسب المواقف والأحوال كما حدث من القضاة الفاسدين في كل عصر، وكذلك رجال الدين.
ثم ركعتان على روح سعد الدين الشاذلي.. مثال للقائد العسكري الذي يقدم ولاءه لوطنه دون حدود ودون مرجعية لشخص أو لحاكم.
ثم يهديه الكاتب هذه الكلمات: "الله لا يحب الحرب ويحب السلام.. نام. نام."

---

(١) ص ٤١٣ حتى يطمئن قلبي

ثم ركعتان على روح إخناتون: الذي رافقتنا سيرته منذ الرواية الأولى حين سرد الكاتب حكايته وانتهت الرواية بمسرحية ليلة اختفاء إخناتون، ثم تحدث عنه في همسات ولمحات في الروايات التالية.
هذا الحاكم الذي دعا إلى التوحيد وعبادة إله واحد في زمن تعددت فيه آلهة المصريين، وتصدى لمحاولات الكهنة في إبعاده وإثنائه عن هذه الدعوة، وبعد اختفائه قام الكهنة بطمس كل ما دعا إليه وكأنه لم يكن له وجود.

ثم ركعتان الأولى على روح الشاعر نزار قباني الذي تفنن في تدليل المرأة في أشعاره، كما دلل الوطن.
والركعة الثانية على روح الشاعر محمود درويش العاشق الثائر الموجوع بحب الوطن الجريح.

ما أنا بكاتب

ونعود مرة أخرى مع الكاتب الكبير السيد حافظ إلى فكرة العناوين المختلفة المقترحة للرواية، ويترك الكاتب للقارئ حرية اختيار العنوان، أو حرية فهم الأحداث وتطوراتها ووقعها في نفوس كل قارئ..

العنوان المقترح الأول: وسأحكي لك قصص العاشقين.

العنوان المقترح الثاني : سلمى وسارة وسيرين.

العنوان المقترح الثالث : وهمّت به وهمّ بها.

العنوان المقترح الرابع : العشاق يستيقظون مبكرًا.

العنوان المقترح الخامس: شط اسكندرية.

العنوان المقترح السادس : وهمت به.

العنوان المقترح السابع : اكتب .. ما أنا بكاتب.

ولم يترك لنا الكاتب هذه المرة الفرصة لتفسير عتبات النص؛ فقد فسّر بنفسه تحت كل عنوان مقترح فكرة هذا العنوان ومنحنا نبذة من خلاله عما يدور في داخل هذا الكاتب ويجيش بصدره وأفصح عن بعضه في هذه الرواية.

وبعد كل ما كتب.. انتهى إلى قول واحد وقرار واحد ألا وهو: ما أنا بكاتب وكأنه يسجل اعتراضه على ما يحدث حوله من خيانات للنفوس والأوطان وتزييف الأحداث.

نعود للسرد فنجد الكاتب قبل الدخول في أحداث الرواية قد استهل بما كتبه ابن خلدون في مقدمته الشهيرة في القرن الرابع عشر الميلادي حيث قال:

"عندما تنهار الدول يكثر المنجمون والمتسولون، والمنافقون، والمدّعون والكتبة والقوّالون.. والمغنون النشاز والشعراء النظامون.. والمتصعلكون وضاربو المندل.. وقارعو الطبول والمتفيقهون وقارئو الكف والطالع والنازل والمتسّيسون والمدّاحون والهجّاؤون وعابرو السبيل والانتهازيون.."[(١)]

شهادة على العصر، أم رؤية واستشراف لما يحدث في أيامنا الآن؟

ثم يهدي الكاتب هذا العمل إلى إخوته وهذا أمر طبيعي ومتوقع، ولكن الغير متوقع هو أن يهدي الكاتب عمله إلى الذين منعوا كتبه ومقالات، وهاجموه ومنعوا الكُتّاب الآخرين والنقاد من الكتابة عنه، ورغم ذلك ما زال يطلق عليهم "العظماء" وذلك لأن معيار تقييمه للأمور يختلف عن معايير الآخرين؛ فقد أكدت له مواقف هؤلاء أنه متفرد، لا يسلك الدروب الممهدة المعتادة التي يسلكها العامة، بل يختار

---

(١) ص ١٠ ما أنا بكاتب- السيد حافظ

دروبًا وعرة غير ممهدة يسكنها الخوف وينطلق فيها ضباب الجهل فيخيف النفوس الضعيفة والعقول الخفيفة وأشباه المثقفين فيهربون منها ولا يجرؤون على عبورها.

ونعود إلى الرواية وتداخل الأجناس الأدبية وطريقة عرضها عند السيد حافظ أو ما يسمى بالمسررواية.

حيث نجد فقرة جديدة تحت عنوان العتبة.. قسمها الكاتب إلى عدة عتبات كانت العتبة الأولى هي بداية الفصل الأول من الرواية.. يبدأ الكاتب بكلمة: "عن" ثم يذكر الرواة والكُتّاب منذ الزمن القديم حتى الزمن الحديث، ليصل بأحدهم الذي كتب مقالاً عن كاتبنا السيد حافظ، وكأنها شهادات للتاريخ.. وكان اختياره لأول عتبة مقالاً كتبه الكاتب إبراهيم عبد المجيد تحت عنوان "السيد حافظ كاتب لم تهزمه نكسة يونيو.." ورغم تجاهل المقال وعدم نشره، إلا أن كاتبنا استمر في الإبداع لا ينتظر شهادة أو مقالاً أو تكريمًا، إنه يكتب للتاريخ، يكتب للزمن، فالحرف باق والكراسي زائلة هي ومن عليها.

ثم يعود السيد حافظ إلى استحضار فن الرسالة، ولكن هذه المرة الرسائل موجهة منه إلى القارئ، ولكنها رسالة مباشرة يقدم فيها أبطال العمل، وكأنه تتر مسلسل أو مسرحية.. ثم يبدأ كل فصل بعمل تشكيلي، وقد استعان

الكاتب بلوحات الفنان التشكيلي ماهر جرجس التي تمزج بين الواقع والتجريد وتتميز بألوانها الزاهية، التي يتناغم فيها الأزرق مع الأخضر والأحمر بدرجات واضحة، تصرخ أحيانًا ، وتكتم أنينها أحيانًا أخرى.

ويحمل الفصل الأول عنوان: عن الخطيئة والعشق..

وتبدأ شهرزاد أحداث حكاية جديدة لسهر عن الفتيات الثلاث (سلمى وسيرين وسارة) وتدور الأحداث في مسقط رأس الكاتب ومسقط رأس فتحي رضوان كذلك، فتختلط ذكرياتهما معًا، ولكن زمن الحكاية هنا في القرن الثامن عشر.. وبعد الحملة الفرنسية على مصر.

ولا عجب أن يختار الكاتب هؤلاء الفتيات الثلاث.. "سلمى" المسلمة و "سيرين" القبطية و"سارة" اليهودية.

الأقباط هم سكان مصر الأصليين، سلالة نقية كما يعتقدون ذلك منذ زمن الفراعنة ويسقطون من حساباتهم اليهود وأنهم كانوا يسبقونهم..

لقد كانت مصر قديمًا فرعونية متعددة الآلهة، كما ذكر الكاتب في الرواية الأولى قهوة سادة "حكاية نفر"، وكيف عبدَ المصريون القدماء أكثر من أربعين إلهًا، حتى عبدوا الخنافس والبصل، ولم يؤمن بإله إخناتون الواحد إلا قلة منهم، ثم آمن المصريون بالله الواحد وصاروا يهودًا في

عصر سيدنا موسى عليه السلام رغم عدم تصديقهم وإنكارهم في البداية، وجحودهم بعد كل العلامات التي ظهرت لفرعون ولهم، حتى غرق فرعون وكان آية، وبعد ذلك صارت مصر مسيحية حتى جاء الفتح الإسلامي أو كما سماه البعض غزو العرب..

لذا لم يكن أبدًا بالأمر المستغرب أن تجد هذه الحالة من الألفة والود بين أبناء الشعب الواحد.. من مبدأ " لكم دينكم ولي دين" ومن مبدأ أننا جميعًا نعبد إلهًا واحدًا ولكن كل بطريقة.. ولكن ذلك لم يكن ما يضمره الجميع، فكان هناك البعض من كل جانب يرى نفسه وأبناء ديانته الناجين والبقية هالكون..

ثم يبدأ الكاتب على لسان شهرزاد في سرد حكاية كل بنت وأسرتها وأصلها؛ فنجد أن معظم المصريين الحاليين قد أتوا من مناطق أخري واختلطوا بأهل مصر فصاروا منهم.

ثم يشرح لنا الكاتب مشاهد كاملة تصف بيت كل فتاة ووضع الأثاث فيه لنتفهم وضع كل أسرة من الناحية الاقتصادية، وكذلك العقائدية.

وكعادة الكاتب دائمًا نجد حكايات تتوغل في زمن أبعد تنبثق من رحم الحكاية، وتتخطى حدود الزمان والمكان للرواية الأصلية؛ فنجد والدة سلمى تحكي لها أصول عائلة والدها

نافع القادمة من اليمن وأصول والدتها النوبية وجدها الأمير النوبي.

ونجد "أيتين" والد سارة يحكي لها أصولهم المصرية القديمة.. ويعود بالسرد إلى عهد الملك بطلميوس الأول، الذى استقدم إلى مصر في عهده "١٢٠،٠٠٠ أسيرًا يهوديًا من روما."

ثم انتقل إلى الفترة من عام ١١٥ إلى ١١٧م حيث قامت ثورة اليهود الأولى وكانت ضد الرومان، أو كما قال الكاتب: (كان الهدف النهائي لهذه الثورة هو الأرض الموعودة بالنسبة لهم.. وحولوا الحرب بينهم وبين القوات الرومانية إلى حرب أخروية تقوم بتجميع كل شتات المشتتين في جميع أنحاء العالم إلى الأرض الموعودة، وعندما أدرك خطورة الموقف وعد بإرسال قوات رومانية لردع هذه الثورة.)[١]

أما الثورة الثانية لليهود فكانت في السنة الثامنة لحكم الرومان في الإسكندرية.

فاصل جديد يدخل إلى الرواية مصحوبًا بلوحة للفنان ماهر جرجس تحت عنوان "خذ لك نفسًا" "فمرة يكون مع حجر معسل.. سلوم.. مع شيشة نظيفة والماء بالثلج " ومرة

---

(١) ص ٧٢ ما أنا بكاتب- السيد حافظ

أخرى " من سيجارة" حتى يكون النفس "كمان بسرعة" لأن حجر المعسل بتاع الشيشة خلص!!!

هذه الوقفات الاستثنائية التي يحتفظ بها الكاتب لنفسه، يدوّن فيها همسةً أو ذكرى لحادث ما، أو حدثًا طريفًا استوقف الكاتب.. استراحة قصيرة من السرد وشكل آخر من الطرح المبسط لقضايا مهمة بطريقة رجل الشارع البسيط الذي يرتاد المقهى الذي طالما شكّل "وسيلة التواصل الاجتماعي" لفترة طويلة من الزمان وكان بمثابة "فيسبوك الطيبين" وبالطبع تكون الشيشة رفيقة مرتاد المقهى دائمًا التي ينفث فيها غيظه المكتوم ويشكو لها الهموم.

استحضر الكاتب شخصية السير ريتشارد فرانسيس بيرتون المستشرق الشهير وقصته في الوصول إلى مكة والحج.

حيث كان ثاني شخص غير مسلم يزور مكة والكعبة وقد دخلها على أنه مسلم.. بيرتون الذي اشتهر بحملاته الاستكشافية وتختلط هنا أجزاء من السيرة الذاتية للمستشرق مع الخيال الدرامي ويصل بيرتون إلى الإسكندرية وبين عشية وضحاها يتغير حاله من "خواجة" إلى "شيخ طريقة صوفي" ومعالج..

ويذكر الكاتب أن تلك الأحداث تتزامن مع مرحلة تولي الخديوى عباس الأول الحكم، وانهيار كل ما بناه محمد علي،

وتدهور التعليم وإغلاق المدارس، وانتشار الفساد، والجهل وانهيار الجيش..

وهنا نتوقف عند مقولة عباس حلمي الأول: (الأمة الجاهلة أسلس قيادة من الأمة المتعلمة).

ونعود للرواية حيث يلجأ لبيرتون أو "الشيخ ميرزا" الجميع مسلم ومسيحي، حين يتملك الجهل من العقول ويطمسها يلجأ الناس للدجل والخرافات أو يختلقوا الحكايات ويصدقونها.

وتستمر مقالات فتحي رضوان، بعضها لوحات في عشق الوطن، وبعضها تاريخية، وبعضها شهادة على أحداث مضت وحوادث شكلت علامة فارقة في تاريخ مصر..

ونعود لحكاية فتحي وسهر، وتظهر المُدرسة السويدية لتحتل مكان سهر في قلب كاظم وتفتح له آفاقًا جديدة، وحلم الحرية لاح في الأفق وصار قريب المنال.

حوارات تمتزج فيها اللهجة المصرية باللهجة الشامية..

وكما توجد في مصر عدة لهجات باختلاف المناطق الجغرافية، كذلك الحال في بلاد الشام، والمُعاشر لهم يستطيع بسهولة من حوار بسيط معرفة أصل المتحدث وإلى أية منطقة ينتمي، ويتميز أهل السويداء بلهجة خاصة، حيث أن أغلبهم يعودون إلى أصول لبنانية، لكنهم هاجروا خلال فترة

الحرب الأهلية؛ فمنهم من هاجر إلى الغرب خاصة فنزويلا ومنهم من انتقل إلى جنوب سورية "منطقة السويداء" مكان تجمع طائفة الدروز التي تنتمي إليها سهر.
وتتطور الأحداث في حكاية فتحي وسهر، وتبدأ غريمة سهر "حياة" في الظهور وهي زميلة فتحي في الجريدة، وكذلك يبدأ شداد في مداعبة أحلام سهر بالثراء والاستقلالية.. وتتصاعد الأحداث في كل الأزمنة، وتتفرق الصديقات الثلاث وتسير كل منهن في طريق ثم يعدن مرة أخرى، وتجمعهن الإسكندرية التي طالما احتضنت الجميع من كل الجنسيات والألوان والديانات.
ويهرب بيرتون ليكمل رحلته الاستكشافية، ويبدأ الأب حبيب في رحلة استكشافية أخرى دليله فيها مسلم ورفيقه كذلك مسلم ليصلا إلى دير سانت كاترين لاسترداد ابنه..
ونلاحظ موقف الدليل المسلم في حماية الدير عندما هَمَّ حمدان بعمل حيلته المعتادة (شب النار) بجوار باب الدير.. ويرفض والد سارة (أيتين) وكذلك زوجها الرحيل عن الإسكندرية والذهاب إلى إسرائيل؛ فهما لا يعرفان وطنًا آخر غير مصر.
مات الخديوي عباس حلمي الأول وتولى سعيد، فألغى الجزية التي فرضها المسلمون على المسيحيين، وأعاد

تنظيم الجيش وألحق به المسيحيين المصريين لأول مرة وأعاد فتح المدارس في محاولة منه لتصحيح ما أفسده عباس حلمي.

على الجانب الآخر ترى سهر فتحي بصحبة حياة ومشاعر الأنثي بداخلها تخبرها بأنها ليست مجرد زميلة له..

ثم تنتهي الرواية باتصال من "حياة" على "سهر" ليتركنا الكاتب في شوق لمعرفة ما سيدور بينهما من حوار..

الفن التشكيلى

اتخذ الكاتب في هذه الرواية منحى آخر حيث اتجه إلى الفن التشكيلي بقوة وعمق أكثر فكانت اللوحات الفنية شريكًا هامًا للرواية..

فاتخذ في بداية كل فصل لوحة تشكيلية تعبر عن عنوان الفصل؛ فجاء الفصل الأول بعنوان "عن الخطيئة والعشق" مصاحبًا للوحة ظهرت فيها الكثير من الأجساد المتاخلة للرجال والنساء وكأنهم يتصارعون في الحياة، البعض منهم متشابكوا الأيدي والباقون منفصلون، وجميعهم يتشابكون تحت ظلال شجرة واحدة في أعلى اللوحة وكأنها الشجرة التي التقط منها آدم التفاحة وكانت الخطيئة الأولى ونزل بعدها هو وحواء إلى الأرض.

أجساد بألوان فاتحة تمثل الخير، وأخرى بألوان داكنة تمثل الشر، وفي منتصف اللوحة يبدو عصفور سهر وبجانبه فتاة صغيرة تمثل سهر في طفولتها وبراءتها قبل أن تصل إلى دبي وتتبدل روحها البريئة بروح أنثى جامحة.

وأما الفصل الثاني فقد اختار له الكاتب عنوانين: العنوان الأول "هناك كتابة تشبه الكتابة ونساء تشبه النساء" مصاحبًا للوحة تداخلت فيها الحروف مع الصور لتشكل صورة قارب وكأنها سفينة نوح حملت من كل زوج اثنين.. فهل تصل بهؤلاء إلى بر الأمان؟

وأما العنوان الثاني فكان "ربما نسيت أفراحي في كحل عينيك إن غبت عني غابت أفراحي وإن جئت لي عادت مهللة" مصاحبًا لصورة سيريالية تتداخل فيها صور شخوص عارية وأخرى فزعة وكأنها تعرت من كل الأقنعة والتزييف وظهرت على حقيقتها الكاذبة وافتضح أمرها..

كما اعتاد كاتبنا على فضح الحقائق التاريخية التي شابها التزوير والتزييف لعصور خلت.

ثم ننتقل إلى الفصل الثالث وحمل ثلاثة عناوين وثلاث لوحات:

العنوان الأول: الحب قوة خفية للفرح والألم..

ترافقه صورة لآلة العود الموسيقية وتخرج منها النغمات على شكل بشر وكأنها أسرة مكونة من أب يفرد جناحيه ليحمي أسرته المكونة من زوجته وطفليه..

وكأنه فتحي رضوان يقف ويرفع يديه وأمامه تهاني وابنه منها وفي الجانب يقف طفل آخر وكأنه ابن سهر الذي ما زال يؤمن بأنه ابنه.

وأما العنوان الثاني: الحب يكحل عيوننا بالجمال..

وتصاحبه صورة تداخلت فيها الوجوه ما بين الأبيض وتدرجات الألوان لا تظهر منها سوى العيون وبعض تفاصيل الوجه، جميعها تتجه نحو منتصف الصورة وكأنها تتهامس سرًا أو تنظر نحو شيء واحد.. الجميع يبحث عن الحب..

ويجيء العنوان الثالث: ويحي قتلني الحب الصافي.

مصاحبًا لصورة وجه تتلاشى ملامحه وتتشظى وتبدو العينان حائرة تائهة تبحث عن شيء ما..

فهل هي عيون سهر الحائرة بين التوبة وبين عشقها للثراء أم هي عيون فتحي رضوان الباحث في أعماق نفسه عن سبيل للهروب من كل ما هو فيه من آثام، والتماس طريقه إلى الندم.

الفصل الرابع:
العنوان الأول: لا أتذكر أن الوطن أعطاني مرة وردة أو مظلة للمطر..
اختصرت اللوحة حالة المواطن الراقد على الأرض وحوله سلاسل في نهايتها الأهرامات وكأنها تقيده على لوح يشبه لوحة الكلمات المتقاطعة وفي كل مربع تبدو صورة؛ فنجد مئذنة مسجد وجرس كنيسة وفي أحد المربعات صورة لفتاة وأخرى لفتى ويوجد كتاب مفتوح، ونوافذ وشبكات تشبه الأسوار ونوافذ السجون المغلقة بالشباك وكأنها لوحة مصغرة تختصر الوطن، وحال المواطن المسجون بداخله.
العنوان الثاني: أحيانًا أراك في دمي وردة حمراء الخدين..
تصاحب هذا العنوان لوحة متداخلة التفاصيل ممزقة الأوصال تشبه حالة الوطن المشتتة بين العشق والرفض؛ فقد يكون اللون الأحمر لون الورد وقد يكون لون الدم.
العنوان الثالث: أنا رجل يائس من هذا الوطن..
يرافق هذا العنوان لوحة مزدحمة بالوجوه الكثيرة المتداخلة، ففي زحام مشكلات الحياة تتداخل كل المشاعر.. الكره والحب، وتشعر أنك مجرد جرم صغير في فضاء فسيح.
العنوان الرابع: الوطن شاخ لا مهنة له الآن...

ترافق هذا العنوان لوحة لنساء يجلسن عل الأرض وكأنهن عجائز يئسن من الحياة ولم يعد لهن فيها أمل.
الفصل الخامس: بعنوان "حياتي سجل هزائم من الوطن"
العنوان الأول: أكون سر الجنون.
نرى لوحة تتداخل فيها الخطوط والألوان ويوجد في المنتصف ما يشبه رجل يحاول الخلاص من هذه الفوضى من حوله ولا يجد منها مخرجًا، وربما يحاول دفعها ليصنع لنفسه مكانًا ومتنفسًا..
العنوان الثاني: حتى أقول أحبك سيدتي يحمر وجه الوطن خجلًا مما فعله معي..
ترافق هذا العنوان لوحة تحمل وجه أنثى مشتتة ربما كانت ترمز لوجه الوطن الذي لا يتنصل لأبنائه ويتبرأمنهم.
العنوان الثالث: وأحيانًا أنتظر الصبح وحدي وحتى وإن طال الليل ونسي الفجر عنواني..
يأتي هذا العنوان مرافقًا للوحة يظهر فيها رجل في قاربه يحاول التجديف منكفئًا يحلم بالوصول إلى بر أمان.
العنوان الرابع: حنانيك يا وطني يا قاسي القلب..
صاحبت هذا العنوان لوحة فتاة تحمل على رأسها جرة ماء بينما تبدو عيناها حزينتان بالكاد تفتحهما، وكأنها تشعر

بالخيبة إذ خاب ظنها وحين أتت النهر لتملأ جرتها وجدته جافًا ناضبا..

العنوان الخامس: وطن يبحث عن المجهول..

تبدو اللوحة المصاحبة للوهلة الأولى متفائلة فهذه الفتاة وعلى رأسها الطائر ترمز بالمعنى القريب إلى سهر يرافقها عصفورها الذي يشعر معها بالأمان، وهذا الطوق في عنقها تتدلى منه النجمة الخماسية التي ترمز إلى طائفة الموحدين التي تنتمي إليها سهر دلالة على عاداتهم التي ما زالت تحاصرها ولا تتركها حرة، ولكن نفس اللوحة ترمز أيضًا إلى الوطن الذي يبحث عن السلام والطائر دائمًا رمز السلام والنجمة هي رمز الجيش وقد كان البطل فتحي رضوان يكن حبًا خالصًا للزعيم ناصر وهو رمز الجيش الذي يحمي الوطن.

الفصل السادس:

العنوان الأول: للنهر عتبات الأولى التسامح..

والأخيرة الحب..

وما بينهما عتبة غربة الروح..

استخدم الكاتب لوحة مكررة لفتاة تحمل جرة عياناها الحزينة تشكل محور ارتكاز في منتصف الصورة.. وكأنها تشعر بالغربة وتبحث عن الحب وترمز جرتها المائلة إلى الخواء..

العنوان الثاني: ولي في مصر نشيد نسي الناس حروفه في زحمة القهر والدنس..

استخدم الكاتب لوحة مكررة لفتاة على رأسها طائر يرمز للسلام ولكنها تقف في مهب الريح تعصف بها ومن حولها..

العنوان الثالث: يا قرة عيني.. ترى ماذا يقول البحارة في نهر العشق والعرافات عنك وعني..

تصاحب هذا العنوان لوحة يوجد فيها شخصان تشكل العيون فيها جزءًا كبيرًا من الوجه وملامح الوجهين حائرة تعبر عن فقدان الهوية، وكأن الرؤوس شفافة تبدو من خلفها سماء تسكنها الغيوم وفي أسفل اللوحة بحر هادئ دون موج يعبر عن حالة الرتابة والسكون، فبعد ثورة العشق تسكن الأرواح وتهدأ..

العنوان الرابع: وغنى الوطن والناس موتى جياع..

هذه الحالة من الازدواجية والطبقية فانقسم المجتمع إلى طبقتين إحداها فائقة الغنى والأخرى في فقر مدقع.. فنرى لوحة لامرأة ترتدي ثيابًا مزركشة تنحنى على طفلها العاري لتصفعه، بينما هو ينتظر حنانها وعطفها عليه..

هذا حال الأوطان حينما تقسو على أبنائها.

العنوان الخامس: تبًا لك.. النور في القلوب خافت جدًا..
صاحبت هذا العنوان لوحة لإنسان رأسه يشبه الكاميرا بينما تمتد يداه لتمسك بطفل صغير..
وحال الكاميرا أنها مظلمة من الداخل تنتظر شعاع الضوء المنعكس على الأجسام في الخارج ليخترقها ويعكس صورة الأجسام..
وقد شبه الكاتب الوطن بأنه مظلم القلب، يقسو على أبنائه ولا يوليهم العطف، وينتظر منهم ما سيعطونه دون أن يمنحهم المقابل.
العنوان السادس: ليس كل حقيقة خيال، وليس كل خيال حقيقة..
تبدو الصورة المصاحبة لوجه يشبه وجه أبي الهول، ينظر إلى السماء وقد بدا فيها الهلال..
في إشارة من الكاتب أنه ليس بالضرورة أن تكون حقيقة الأشياء كما تبدو لنا؛ وأن الكثير مما دوّنه المؤرخون لا يحمل من الحقيقة شيئًا، وأننا ظللنا لقرون فيه مخدوعين..
الفصل السابع:
العنوان الأول: نعم..
تتكرر لوحة القارب وهذا الرجل الذي يحاول عبور النهر والنجاة..

وكأن الكاتب يقول نعم.. ما زال هناك أمل.
العنوان الثاني: لا..
نفس اللوحة للفتاة التي تحمل الجرة، وكأن الكاتب يدعوها ألا تحزن، ولا تيأس..
العنوان الثالث: ربما..
وتتكرر صورة الفتاة وعلى رأسها الطائر.. فهل يشك الكاتب في أن ينجو الوطن ويعيش في سلام مع أبنائه؟
العنوان الرابع: احتمال..
يترافق هذا العنوان مع صورة الوجهين الحائرين.. دليل على الحيرة والوقوع فريسة الاحتمالات..
العنوان الخامس: متى..
وصورة الأم التي ترتدي ملابسها بينما ابنها يقف عاريًا..
وكأن الكاتب يتساءل متى يحنو الوطن؟
العنوان السادس: هل؟
ترافق هذا العنوان لوحة الوجه الذي يشبه الكاميرا ويحمل الطفل،، وكأن الكاتب يسأل هل يمكن أن يمنح الوطن النور لأبنائه بدلًا من انتظار ما يمنحوه له؟
العنوان السابع: مؤكد..
لوحة جديدة هذه المرة يظهر فيها ثلاثة أشخاص: الأب والأم والطفل وهناك في أقصى اليمين صورة طفل مائل لا يصطف

معهم، وكأن فتحي رضوان تخلى عن يقينه بأن ابن سهر هو ابنه..

وتبقى وجوه الأشخاص حزينة مكتئبة يعلوها الوجوم..

أسرة تنتظر قدرها وتعيش فصول الغربة عن الوطن..

أسئلة وجودية يطرحها الكاتب من خلال العناوين ما بين نعم ولا، ربما واحتمال، متى هل ثم ينتهي بـ مؤكد.. وكأنها تعبر عن حالة الصراع الدائر في ذهن الأبطال.

لو لم أعشقها

العلامة السابعة والأخيرة كما أطلق عليها الكاتب المبدع السيد حافظ مسك الختام، أم حصاد الشجن؟
خطفني العنوان الثاني (كل من عليها زان)
من المتعارف عليه أن يكون الإهداء إلى صديق أو عزيز غالٍ، وربما إلى شخص مؤثر في مسيرة الكاتب، ولكن كاتبنا ليس كاتبًا عاديًا، إنه هو المتفرد، الذي يسلك دائمًا دروبًا غير مأهولة، لم يسلكها أحد من قبله، فيمهدها ويمنحها من روحه قبسًا من نور، ليسلكها من بعده الآخرون.
وها هو يمنح الإهداء الأول إلى: " هؤلاء الزناة" !! ثم يليه بتعريف مبسط للزنا، الذي لا نعرف منه سوي نوعًا واحدًا حصرناه في زنا الرغبة والجسد، ولكنه في الحقيقة قد يكون بالعين، بالكلام والفكر واللمس والهمس والكتابة والرؤيا بأحلام اليقظة وبالفعل..
تمامًا كما وضحه الكاتب في مستهل هذا الجزء من سباعيته العبقرية، الملحمة الفكرية، واللوحة الأدبية التي احتضنت كل أنواع الفنون بين دفتيها .
وفي هذه الرواية ينضج جنين الإبداع، ويصبح في طور البدر المكتمل، ينتظر لحظة الميلاد ليهدينا رؤية شاملة

ويجمع ويفرق، ويضم وينثر، ويرعد ويبرق حتى تنقلب كل الموازين، أو تعتدل.. لا أحد يدرى ماذا يحمل لنا غدًا، وتكاد الأقدار ترسم لنا دروبًا في الواقع لا نعلم عنها شيئًا بينما نحن غارقون في الأحلام ..

وقبل الدخول في أحداث الرواية نجد مقدمة عنونها كاتبنا بهذه الكلمات: حين لا يتوضأ الحرف يدخل نار البوح فيفضح الكون فيغضب الرب..

ثم استطرد قائلًا:

(وعشقت مصر بصدق ولم أكن أعلم أن عشقها خطيئة..

واكتشفت أن ليس لي وطن غير الكتابة وكل ما حولي جنون..

حين غرّد الطير فوق نافذتي تنبهت تعطرت تهيأت توضأت بنور موسم الكتابة الذي أتى لي.. بين الورق والقلم والهمزة والياء أنفقت العمر هباء..)[١]

هذه الكلمات البسيطة التي تعبر عن حالة الكاتب الشعورية وانتمائه لعالم الكتابة واكتفائه به، حتى أنه يتهيأ للكتابة كتهيؤه للصلاة والعبادة..

بعدما عاش فصول الإحساس بالغربة في رحلته المليئة

---

(١) ص ٧ لو لم أعشقها- السيد حافظ

بالمعوقات والحروب من الجيل الذي سبقه وحتى أبناء جيله، لا لشيء سوى أنه أراد أن يرسم لنفسه عالمًا متميزًا وأبى أن يكون أحد أفراد السرب.
فعرّف الكتابة بأنها وطنه، بعدما خذله الوطن، كما صوّر الكتابة بالفجر الذي يشرق فينير الروح ويبعث فيها فصل الربيع فتنتشي وتزدهر.
ورغم ذلك فإحساس المرارة يتضح من خلال كلماته التي ختم بها مقدمته حين قال: "بين الورقة والقلم والهمزة والياء أنفقت العمر هباء."

اتسمت هذه الرواية بقالب متكرر يتواتر بنفس الترتيب: علامة، روح، جزء من رواية لكاتب آخر، ثم نعود للرواية الأصلية.. وهكذا حتى آخر الرواية..
واختفت من الرواية حكايات شهرزاد التي تنبثق عنها الروايات الفرعية والمسرحيات، شهرزاد التي سكتت عن الكلام المباح، وآثرت أن تنأى بنفسها عن هذا العالم الملوث وهؤلاء الخونة الزناة، ؛نعم فالخيانة ليست بالجسد فقط، ولكنها بالروح والفكر والأحلام ..

العلامات

وإذا ما بدأنا مع الكاتب من حيث بدأ بالعلامات، فنجد هذا التسلسل المدهش الذي يبدو لمن يرصده كأنه يحكي سيرة الأبطال في هذا العمل، وسيرة هؤلاء الأبطال في حكايا شهرزاد الذين خانوا أوطانهم وشعوبهم وخانوا أنفسهم؛ فنجد العلامات بهذا الترتيب:

- وأكثرهم الفاسقون.. الفسق: العصيان والترك لأمر الله عز وجل والخروج عن طريق الحق، والفسق هو الخروج عن الأمر.

وقيل الفسوق الخروج عن الدين وكذلك الميل إلى المعصية، كما فسق إبليس عن أمر ربه.

والعرب تقول إذا خرجت الرطبة من قشرها: قد فسقت الرطبة من قشرها..(١)

وبالفعل الجميع أو أكثرهم فاسقون..

- سهر الفتاة الطامحة، فسقت وخرجت عن عادات أهلها وعن شرع الله، وعن طاعة زوجها ..

- فتحي فسق وخرج عن شرع ربه وخرج عن كل مبادئه التي كان يؤمن بها؛ فصار يتجاهلها وربما نسيها في غمرة

---

(١) ص ٣٤١٤ لسان العرب- ابن منظور

نزواته مع النساء ..
- كذلك كاظم، وشداد وراغب وحياة..
ثم تتوالى العلامات:
- وأكثرهم لا يعقلون.. فحين تثور الرغبة تغيب العقول.
- وأكثرهم الكافرون.. والكفر ليس فقط مقترنًا بالعقيدة ولكنه قد يمتد لأبعد من ذلك؛ فالكافر في اللغة تعني الظلمة، وهؤلاء الكافرون من جحدت قلوبهم وأظلمت..
الكفر كُفر النعمة وهو نقيض الشكر وقال بعض أهل العلم الكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار بألا يعرف الله وكفر جحود وكفر معاندة وكفر نفاق.[١]
- وأكثرهم للحق كارهون.. فالنفاق والتلون من أسوأ الصفات التي تصف بها بشرًا، وما أكثر هؤلاء في زماننا الذين يعرفون الحق وينكرونه بغرض النفاق والمنفعة..
- وأكثرهم كاذبون..
الكذب والنفاق من أسوأ الصفات التي يوصف بها شخص..
وهنا يحضرنا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:
"آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان."

---

(١) ص ٣٨٩٨ لسان العرب- ابن منظور

ونلاحظ وجود حرف العطف (واو) قبل هذه المجموعة من العلامات وكأنها تتشارك معاً، فمن المعتاد أن يبدأ الكلام بجملة، ثم يُلحق بعدة جمل أو كلمات يسبقها حرف العطف، لتكون معطوفة جميعها على الجملة الأولى أو الكلمة الأولى، بينما بدأ الكاتب منذ العلامة الأولى بحرف العطف "وأكثرهم الفاسقون"!!

وكأن هناك المزيد من العلامات..

ويعود الكاتب لسرد العديد من العلامات مثل:

- أكثرهم لا يعلمون
- أكثرهم لا يؤمنون

ثم نجدهم:

- في غمرة ساهون
- هؤلاء الضالون..

إن هذه الصفات جميعًا تقود إلى الضلال..

- أكثرهم معرضون
- وأكثرهم مستضعفون
- وأكثرهم عاجزون
- فهم لا يسمعون
- أولئك هم الظالمون..

لقد ظلموا أنفسهم بإعراضهم عن الحق، وعجزهم في الدفاع

عنه، وكونهم مستضعفون فذلك لا يعفيهم من المسؤولية..

ثم نجد علامة أخرى:

- لنكونن من المرجومين.. إنه جزاء الظالمين والمعتدين، وكذلك الفاسقين.

ثم يُعيد الكاتب ويؤكد:

- أكثر الناس لا يؤمنون..

ومع ذلك:

- فهم يعلمون

ويقولون:

- لنكونن من الخاسرين.

إنه شبح الضمير الذي يتحرك على استحياء، محاولاً تنبيههم ولكن:

- أولئك هم الغافلون..

- أولئك أصحاب النار.

وأما من استجاب لنداء الضمير:

- "وربك أعلم بالمخلصين"

ويعود الكاتب:

- أكثرهم لا يعقلون

- وأكثرهم لا يعلمون

- وأكثرهم مفترون

- وأكثرهم عاجزون
- وأكثرهم يجهلون
ثم يختتم بـ :
- "أكثرهم محرضون"..
تسلسل يشرح كل ما تمر به النفس البشرية من مشاعر تتأرجح فيها بين الطاعة والمعصية، الإيمان والكفر، الإخلاص والفسق، الإقبال والإعراض.
ولا يكاد يجزم أحدنا على أية حال يلقى ربه، فالحياة تحفُّها الفتن من كل جانب، ونحن فيها تحت وطأة الاختبار طوال الرحلة.
نعود لبناء الرواية والتسلسل الرائع الذي اختاره الكاتب للعرض.

روح

حاء وباء .. حرفان.
قال الخليل: الحاء حرفٌ مخرجه من الحلق.[١]
من صفات حرف الحاء الرخاوة والهمس.
أما حرف الباء فهو من الحروف المهجورة ومن الحروف

(١) ص ٧٤١ لسان العرب- ابن منظور

الشفوية وسُميت شفوية لأن مخرجها من بين الشفتين.[1]
ومن صفاته الجهر والشدة.
فنجد كلمة (حب) قد جمعت النقيضين..
وقد قام الكاتب بتجميع كل مرادفات ومعاني الكلمة تحت عنوان (روح)؛ فالحب الرقيق الشفاف تنبع روافده من باطن الروح وتسري لتمتد إلى باقي الجسد، فتمنحه الدفء والحياة..
يقول الكاتب: (للمحبة أسماء اشتقت من رتبها ودرجاتها مختلفة الألفاظ والمعنى واحد، وبتزايدها تختلف أسماؤها وهي في الجملة عشرة مقامات، وتنتهي في الحادي عشر إلى العشق وهو الغاية فإذا (بلغها سقط) عنه اسم المحبة ويسمى باسم غيرها..)
ومن أمثلة تعريفات الكاتب للروح نقف عند بعض المواضع:
- وقال بعضهم عن الحب إنه مأخوذ من الحب، وهو جمع حبة، وحبة القلب ما بها قوامه وهي للقلب بمنزلة القلب لسائر الأعضاء.[2]
وكأن الكاتب يصف الحب بأنه قوام الحياة وقلبها الذي تستمد قدرتها على البقاء والاستمرار من خفقه.

---

(١) ص ١٩٦ لسان العرب- ابن منظور
(٢) ص ١٧ لو لم أعشقها- السيد حافظ

ومن ذات المعنى اختار الكاتب هذا التعريف:

- وقال بعضهم عن الحب.. هو مأخوذ من الحبة بكسر الحاء، وهي بروز نبات الصحراء، فسمي الحب حبًا لأنه لُباب الحياة كما أن الحِب لُباب النبات والحُب كالعمر والعمر والسد بمعنى واحد.(١)

ثم يلجأ الكاتب لوصف أهل الأدب عن الحب فيقول:

- قال بعضهم: الحب اسم لصفاء المودة، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان، والحباب شيء يعلو الماء عند المطر الشديد، والحباب أيضًا حبة بيضاء نقية..(٢)

فما أجمل أرواح المحبين النقية!

ولكن يتغير مفهوم الحب عند البعض الآخر وكما قال الكاتب عن قول بعضهم:

- الحب هو مأخوذ من الحب وهي الخابئة لأجل أنه يمسك بما فيه، ويستوفي منه فلا يدخله شيء إلا أن يتفرع عنه شيء بقدر ما دخل فيه، ولذلك يقال: لا يجتمع في قلب واحد وإذا استوفى مراد محبوبه قيل له محب، وقيل هو مأخوذ من

---

(١) ص ٢٥ لو لم أعشقها السيد حافظ
(٢) ص ٣٢ لو لم أعشقها السيد حافظ

حب لتمكنه في الأرض ولزومه بها.(١)

إذًا فقد خرج الحب إلى منطقة أكبر، فيها قدر من الرغبة في التملك والاستحواذ؛ فإذا ما ملأ القلب حب أحدهم سيطر على كل جوارحه ولم يترك من قلبه مكانًا لغيره.

ويأخذنا الكاتب لتعريف آخر للحب بمرتبة أسمى فيقول:

- وقال أبو عمرو الشيباني: العشق صخر ينحدر من الجبل؛ فيرسب في الوادي، سمي العاشق لرسوب الحب في قلبه وثقله عليه.(٢)

وفي هذا التشبيه وصف بليغ يبين ثقل العشق على قلب العاشق وما يصيبه من لوعة وسهد مؤرَقًا يفكر في حبيبه ويضنيه الهوى.

ويقفز بنا الكاتب إلى مرتبة أسمى من العشق وهي العشق الصوفي فيذكر قول شيوخ الصوفية:

- قال عمرو بن العثمان: المحبة مأخوذة في اللغة بتفسير الحب، وهو أنهم سموا دخول المرود في العين حبًا.. فهكذا التعلق بالمحبوب في القلوب كدخول المرود في العين..

وقال أبو القاسم الجنيد بن محمد: العشق مأخوذ من العشق وهو رأس الجبل وأقصاه، فعلى هذا يجب أن يقال عشق

---

(١) ص ٧٣ لو لم أعشقها السيد حافظ

(٢) ص ٨٩ لو لم أعشقها- السيد حافظ

فلان إذا ازدادت المحبة وثارت، وارتفعت حتى تبلغ أقصاها وتنتهي في معناه.

وقال بعضهم إن المحبة مأخوذة من اللصوق بالشيء وذلك قول أبي ذؤيب في صفة السد (طويل):

محب كأحباب السقيم وإنما به أثر أن لا يرى من يساوره[1]

ويضيف الكاتب تعريفه الخاص للحب بقوله: قال صاحب الكتاب:

- للمحبة أسماء اشتقت من رتبها، ودرجاتها مختلفة الألفاظ والمعنى واحد، وبتزايدها تختلف أسماؤها وهي في الجملة عشرة مقامات، وتنتهي في الحادي عشر إلى العشق وهو الغاية؛ فإذا بلغها سقط عنه اسم المحبة ويسمى باسم غيرها.[2]

وكأن الكاتب يهيئنا إلى النهاية المرتقبة لروايته ولحكاية بطلها فتحي رضوان خليل.

ثم يخبرنا في موضع آخر عن معنى آخر للحب من تفسيره ورؤيته الخاصة؛ فيقول:

- دل قولاهما على أن المحبة التي هي في هذا العالم كلها من

---

(١) ص ٩٦ لو لم أعشقها- السيد حافظ
(٢) ص ١١٣ لو لم أعشقها- السيد حافظ

تأثيرات تلك المحبة الأصلية التي كانت أول مبدع من الحق تعالى انصدر منها في جميع العوالم، السفلية منها والعلوية، الإلهية منها والطبيعية.

أعني الإلهية ما كان بين الله وبين عبده، وبالطبيعية ما كان منها بين المتحابين على تفاوت اختلافها؛ فهي من تأثيرات تلك المحبة على توسط العقل والنفس والطبيعة، ولهذه الجهة تغيرت واستحالت عن تلك الطهارة إلى ما ترى لأنها وقعت في حد البعد عن الحق تعالى.(١)

وما زال الكاتب يرتقي بنا في مراتب الحب ويأخذنا درجة درجة، وها هو يصل بنا للمحبة فيعرفها كما يلي:

- المحبة هي (التصاق الشيء بالأرض محبة) وقال شيخنا أبو عبد الله محمد بن خفيف إنه مأخوذ من قوله (يحبهم) فأفاض على الأسرار من حبه فاحتواها وألبسها لبسة من محبوبه، فشاع في وصفه فسمى ذلك حبًا باسم الحق ووصفه.(٢)

وفي وصف آخر يذكر الكاتب كلمات أبو عبد الله محمد بن خفيف حين سئل عن الفرق بين الخلة والمحبة فقال:

- الخلة من تخلل في الشيء بالممازجة كما قال الشبلي:

---

(١) ص ١٤٢ لو لم أعشقها السيد حافظ

(٢) ص ١٢٠ لو لم أعشقها السيد حافظ

في تخللت مسلك الروح مني ولذا سُمي الخليل خليلا.[1]

ثم ينتقل الكاتب إلى وصف آخر للمحبة فيذكر رأي انباداقليس فيقول:

- إن أول مبدع أبدعه المبدع الأول المحبة والغلبة، وعن الغلبة والمحبة أبدعت الجواهر البسيطة الروحانية والبسيطة الجسمانية والمركبة الجرمية.[2]

وقد اشتهر إمبادوكليس أو (إنبادقليس) بفلسفته التي تعتبر أصل نظرية نشأة الكون من العناصر الكلاسيكية الأربع (التراب والماء والهواء والنار)، واقترح قوى أسماها الحب والصراع التي تعمل على مزج العناصر وفصلها.

وقد ساند مبدأ تناسخ الأرواح الذي دعا إليه الفيثاغوريين.

وعرّف المحبة بأنها تجمع الذرات المتجانسة في حالة التفريق الناشئ عن الكراهية.

واعتبر المحبة والكراهية تتعاقبان في دورات كونية إلى ما لا نهاية.

ولا شك أن الكاتب استخدم كلمات انبادقليس لتناسبها مع فكرة تناسخ الأرواح التي انبثقت منها فكرة الروايات الفرعية منذ حكاية روح سهر الأولى "نفر" حتى روحها

---

(١) ص ١٢٨ لو لم أعشقها السيد حافظ

(٢) ص ١٥٢ لو لم أعشقها السيد حافظ

الخامسة "سلمى".
وتتوالى الوقفات الروحية لتصف معاني الحب فتصل إلى الودّ والمودة والمواصلة حيث يقول الكاتب:
- ثم الودّ والمودة والمواصلة.. وسمي الوتد لأن الحبل يربط إليه ويوصل، فصار حب محبوبه ودوام ذكره به كالحبل مربوطًا إلى الوتد.
قال تعالى: (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة)[١]
ويستطرد الكاتب مذكرًا بأبيات من شعر قيس بن الملوح:
وددت وبيت الله ما دمت أنها نصيبي من الدنيا وأني نصيبها
فإن تجز ليلى بالمودة تجز لي وإن تجز بالقربى فأني قريبها[٢]
ثم يعود الكاتب للعصور القديمة فيستحضر رأي بطليموس وتعريفه للحب فيقول:
- وحكي عن بطليموس أنه قال: الصداقة والعداوة تكون على ثلاثة أوجه:
إما اتفاق الأرواح وهو التعاشق بين الناس الذي لا يجد بدًا من محبة صاحبه.
واتفاق الأرواح بكون الشمس والقمر في مولديهما جميعًا

---

(١) سورة البقرة الآية ٩٦
(٢) ص ١٧٧ لو لم أعشقها السيد حافظ

في بيت واحد أو تثليث أو تسديس.

فإن كان كذلك كانا مطبوعين على مودة، ولا سيما إذا نظرت إليهما السعود في كلا المولودين ولم ينظر إليهما النحوس.[1]

ثم يتسامى العشق ليصل إلى مرتبة الشغف فيقول كاتبنا:

- ثم العشق فإذا زاد بعض زيادة صار الشغف.

والعشق شدة الولوع بذكر المحبوب. وهو الفتنة من قولهم: فلان شغف بفلان.. إذا هذى بذكره كثيرًا..

ثم يذكر بيتًا من نظم أبي ذؤيب:

شغف الكلاب الضاريات فؤاده ... فإذا رأى الصبح المصدق يفزع[2]

ويصل العشق لأسمى المراتب حين يكون عشق الله

يقول الكاتب:

- فقبل تعالى من الكمال على ما فيه من صفة العشق، وهذه الصفة صورة في ذاته.. وهو كاستحسانك شيئًا من ذاتك وفرحك بشيئ من ذاتك.[3]

ثم يقول:

---

(١) ص ٢٢٥ لو لم أعشقها السيد حافظ
(٢) ص ٢٣٦ لو لم أعشقها السيد حافظ
(٣) ص ٢٤٦ لو لم أعشقها السيد حافظ

- والمحبة إذا زادت بعض الزيادة لها، صارت محبة حقيقية دون المجازية..

وهي تمكن وجود لذات ذكر المحبوب من قلب المحب، ومعناها واشتقاقها ما قد بدأت بذكره.[1]

ويتبعها بدرجة أرقى في سلم الصوفية فيقول:

- حتى أفاض على جوارحه الظاهرة والباطنة.. وقد ذكرنا اشتقاقه فيما تقدم فأما معناه فذهاب حظه من كل شيء سوى معشوقه حتى يذهل عن عشقه بمعشوقه.[2]

وهذه هي مرتبة أسمى وأعلى ولا سيما أن يجعلها الكاتب الأخيرة في ترتيب درجات الحب، وصولًا لمرحلة المكاشفة والارتقاء التي وصل إليها فتحي رضوان.

مختارات من الأدب العالمى

وننتقل إلى السرد، فنجد مختارات من روايات عالمية مترجمة تحمل الكثير من المشاعر..

اختار الكاتب مقاطع من روايات عالمية مترجمة وأوردها كفاصل في الرواية الرئيسية؛ ومن هذه الروايات:

---

(١) ص ٢٥٧ لو لم أعشقها السيد حافظ

(٢) ص ٢٦٦ لو لم أعشقها السيد حافظ

- غبار الخاطر للكاتب أبو الكلام آزاد
- رواية الاحتقار ألبرتو مورافيا
- حفلة القنبلة غراهام غرين
- هذه زوجتي _الرجل الذي حسب زوجته قبعة_ أوليفر ساكس
- رواية دم.. وخمر للعبيد ضمير! بوليكوشكا فارسان وعذراء
ليو تولستوي
- مزرعة الحيوانات جورج أورويل
- مسرحية موت فوضوي صدفة داريو فو
- رواية نصف حياة ف. س. نايبول
- رواية وجدت ميتة كاتي راكس
- رواية الشيخ والبحر إرنست هيمنجواي
وغيرها الكثير كفواصل تتكرر بانتظام حتى نهاية الرواية.

النزعةالصوفية

وكما كان محمد نجيب وعبد الناصر يزوران فتحي رضوان في منامه في الأجزاء السابقة، ظهر له في هذا الجزء ذو النون المصري..
هذا الصوفي المصري الذي اشتهر في القرن الثالث

الهجرى، ودار حديث بينه وبين فتحي..
لم يكن ظهور هذه الشخصية عابرًا، بل وكما اعتدنا من المبدع السيد حافظ إن كل حرف موضوع بدقة، ولا يقبل التبديل بغيره .
ويقول الكاتب على لسان ذى النون: "الأنس بالله من صفاء القلب مع الله، والتفرد بالله، الانقطاع من كل شيئ سوى الله.
فإن أردت التواضع فوجه نفسك إلى عظمة الله، فإنها تذوب وتصفو، وإذا نظرت إلى سلطان الله، ذهب سلطان نفسك، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته."
إرهاصات تداعب روح فتحي، وتفتح قلبه بعدما طمست الرغبة عيونه، وجثت الرذيلة على صدره.
ثم يظهر له طيف آخر.. هو طيف الحلاج "أبو المغيث بن منصور بن محمد البيضاوي" وها هو يتذكر ليلة قتله، ويخبر فتحي بآخر ما قاله: (اللهم إنك المتجلي عن كل جهة، المتخلي من كل جهة بحق قيامك بحقي، وبحق قيامي بحقك، وقيامي بحقك يخالف قيامك بحقي، فإن قيامي بحقكك ناسوتية، وقيامك بحقي لاهوتية..)(١)
كما ظهر هؤلاء لفتحي، تظهر لسهر رابعة العدوية.. فتتلقى

---

(١) ص ٢٥٤ لو لم أعشقها

كلماتها بوجل وخوف، ويتبدل حالها في اليوم التالي، فتتخلص من ملابسها المكشوفة وتضع غطاءً على شعرها، وتعزم على تجاهل شداد ومحاولات تقربه منها.
وتنتهي أحداث الرواية، أو الملحمة، ويختار كل بطل من الأبطال طريقه ؛ فمنهم من تفهم لغة الإشارات وفتح قلبه لها مثل فتحي رضوان، ومنهم من أعرض وغفل مثل سهر التي ما لبثت أن عادت للغرق في أحضان أحلامها، واستسلمت طواعية لأطماع شداد، ما دام يحقق مطامعها، وهرب كاظم من هزائمه واختار للمرة الأولى طريقة وأسلوبًا لحياته.
اما شهرزاد فاختارت البسطاء في الجبل تشاركهم أيامهم وتعينهم على سوء أوضاعهم، وتحتمي بهم.

وقفات مع القرآن

لا نستطيع أن نترك هذه الوقفات تمر دون الوقوف عندها..
تلك المقاطع من الآيات القرآنية التي ختم بها الكاتب كل فصل من فصول الرواية، أو كل مقطع سردي حسب الأحداث، وحسب رؤية الكاتب..
ولكن المقطع الذي تكرر كثيرًا: "ظهر الفساد في البر والبحر

بما كسبت أيدي الناس"[1]
نعم؛ فالبشر هم المسؤولون عن كل ما ظهر على الأرض من فساد منذ جريمة قابيل الأولى على الأرض وحتى وقتنا هذا؛ فمتى يتوب البشر، وإلى ربهم يرجعون؟
ويتبعها الكاتب بالآية القرآنية:
(وما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرًا عليمًا)[2]
ولا عجب أن يضعها الكاتب تعقيبًا بعد عودة راغب من فنزويلا ووصوله إلى دبي، لا ليرى أخته وردة كما أخبرها؛ بل ليتعرف على حامد الصقر وشداد ليعمل معهما.

ثم يعيد الكاتب نفس المقطع من الآية: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس)
ويتبعه بالآية الكريمة:
(ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرًا منهم فاسقون.)[3]
وكان هذا تعقيبًا على موافقة حياة على زيارة فتحي رضوان

---

(١) ص ٤٦ سورة البقرة الآية ٤١
(٢) ص ٤٦ سورة النساء الآية ١٤٧
(٣) ص ٥٤ سورة المائدة الآية ٨١

لها في منزلها..
ويُعيد الكاتب نفس الآية ظهر الفساد في البر والبحر...
ثم يلحقها هذه المرة بالآية الكريمة:
(ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون.)[١]
فها هو فتحي رضوان يتمادى في الشعور بالاغتراب وغياب البصيرة والتخبط على عتبات النساء، وكأنه يبحث عن شيء ما لكنه لا يعرف ما هو.
ويعيد الكاتب نفس المقطع هذه المرة: ظهر الفساد في البر والبحر...
ويلحقه بالآية الكريمة:
(فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.)[٢]
فها هو راغب قد اجتمع بشداد وتلاقت أفكارهما الشيطانية ومن يملك الحكم غير الله على ما تحمله القلوب وتضمره.
ثم يُعيد الكاتب نفس الآية ظهر الفساد في البر والبحر...
ويليها بالآية الكريمة:
(قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم.)[٣]

---

(١) ص ٦٢ سورة الأنعام الآية ١١٠
(٢) ص ٧١ سورة الأعراف الآية ٨٧
(٣) ص ٢٣٣ سورة الذاريات الآية ٣٠

وقد ذكرها الكاتب بعد عودة سهر من الشام واكتشافها لخيانة منقذ لها.
وها هي تشرب من نفس الكأس الذي أذاقت منه منقذ، ولكنها تعرف كيف تستغل الموقف لمصلحتها..
وخلال السرد والأحداث يلجأ الكاتب للعديد من الآيات القرآنية حسب كل موقف، ثم ينهي الرواية بسورة الناس..
آخر سور القرآن الكريم.
هذه السورة ثاني المعوذتين، التي نتعوذ فيها من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس..
من الجن والناس..
فالإنسان لا يقل شرًا عن الجن، ويستطيع أن يوسوس في صدر غيره كالشيطان..
وبعض البشر تفوقت في الشر على الشيطان نفسه..

ومع نهاية الجزء السابع من الملحمة الأدبية الروائية، لا نستطيع تجاهل هذا التحول الدراماتيكي في الشخصيات، ويمكننا أن نمنح كل شخصية من هذه الشخصيات صورة ارتسمت في عقولنا على قدر فهمنا للأحداث.
فتحي: هذا الكاتب الموجوع بعشق الوطن، الذي خانه عشرات المرات منذ ميلاده في عام ١٩٤٨ ، وشبابه الذي

قضت على بهجته هزيمة ١٩٦٧ ، ثم بداية عصر الانفتاح على كل ما هو رديئ ثم فراره من الوطن رغم عشقه له، ووجع الغربة الذي ظل يلازمه، وكلما مُني بهزيمة ألقى بقلبه بين أحضاء أنثى، ربما منحته بعض الحنان الذي كان يجب أن يناله من وطنه، وها هو ضميره الذي بات يتجلى له في صورة رجل من نور، وظهور ذي النون والحلاج له، إحساسه بمرارة الذنب، رغم أنه مازال يصر عليه، وكأنه يعاقب نفسه، ويُصر على الغرق في ملذاته كنوع من الهروب ومواجهة الواقع الذي عجز عنه تغييره.

سهر: الفتاة البريئة والزهرة البريّة فَّواحة العطر آسرة قلوب الرجال، التي عشقت الحرية ولطالما حلمت بالهروب من سجن الوطن وحصاره لأحلامها، وحلمت بالثراء..

وتحولت من زوجة إلى عاشقة، تخون زوجها، ثم تمادت في الولع بحب الذات، وتجاهلت مشاعر الأمومة، بل وحاولت التخلص من جنينها قبل أن تراه، ليس خوفًا من أن يكون ابن فتحي ولكن تملصًا من المسئولية، ورغبة في المزيد من التحرر.

كاظم: النسخة الشامية من فتحي رضوان ..

تاريخ حافل بالانكسارات والهزائم، والاستغناء عن الملذات بالهروب والتخفي بين الحروف والكلمات على صفحات

الورق التي تُعد الفسحة الوحيدة له، والمساحة المحدودة لحريته.

وما إن واتته الفرصة للعصيان تذمر وأعلن التمرد على كل قيوده دون التفكير في العواقب.

حامد الصقر: كثرة الحزن تأكل الروح وتشيب القلب، حينها تدرك حقيقة الفكر والوعي والإدراك، هل كان هناك وعي أم أنه دار كترسٍ وحيد في الفراغ ؟

شداد : الهمجية والوحشية، الوجه المقيت للرأسمالية.

منقذ : كأس فارغ، كلما طرقته يصدر رنينًا هشًا غير قادر حتى على خلخلة الهواء.

راغب : للأسف يمثل حال شباب اليوم..

لا هوية، لا وطن، لا مبادئ، لا أهل، لا مثل أعلى..

شباب فاقد للهوية لا يعرفون حتى أنفسهم ولا يعرفون ماذا يريدون..

تهاني: حمامة جريحة تحارب طواحين الهواء المسلطة على عُشّها، كي يبقى صامدًا على غصن المحبة ولا يهوى، مثال المرأة المصرية التي تحمل على عاتقها نجاح الزواج وتحمّل نفسها فوق طاقتها وتكتفي بالبكاء ولا تشكو مهما قست عليها الظروف.

وردة: نحلة طنانة لسعت فريستها، وتعلقت بها..

ظنت في لحظة أنها قد نالت منها وامتلكتها، ولم تعلم أنها نهايتها.

حياة: واهمٌ من يظن أنه يستطيع كبح جماح الرغبة، فالخضوع لها مرة يُعد صكًا تبيع به نفسك وإرادتك للشيطان دون رجعة، وهذا حال كثير من الساسة الذين يتصورون أنهم يستطيعون تقديم بعض التنازلات في بداية مسيرتهم، ويفاجئون بسلسلة لا تنتهي من التنازلات.

شهرزاد: فاكهة الرواية، ونبع السحر في السباعية.

شجرة الجميز العتيقة التي تهبُ الجميع العطف والرعاية، وتمنحهم الظل الظليل والمحبة حتى وإن تطاول البعض على أفنانها.. تبقى الأم الحنون حتى النهاية.

وبعد هذه الرحلة التي امتدت عبر سبعة روايات، شرّق فيها الكاتب وغرّب على طول التاريخ منذ سبعة آلاف عام وأكثر حتى وقتنا الحاضر، التقى بشخصيات من مختلف الدول العربية واستحضر روح المستشرق البريطاني بيرتون، تُرى ماذا أراد أن يخبرنا الكاتب السيد حافظ؟

هل هي مغامرة ثائر ينشد التحرر من كل قيد! أم جسارة فارس يمتطي صهوة الإبداع متمكنًا من أدواته، مغمورًا باليقين في النصر على جحافل الجهل والخنوع ومؤثري البقاء، حبيسي القوالب الجامدة، المتجلدة منذ العصور

السحيقة.

يلملم خيوط التاريخ الذي لم يجرؤ أحد من قبله على قرع أبوابه العتيقة التي أوصدت، وصدأت أقفالها وضاعت المفاتيح، أو تم التخلص منها عن عمد لتُطمس الحقيقة وتبقى مدفونة في قاع المجهول.

ينقرها، يغربلها، ويبعثرها أمام نواظرنا ثم يجمعها في نسيج درامي شهي بديع، تتلاقى فيه القصص الحقيقية بالأساطير في جرأة منقطعة النظير، إذ لم يفزع ولم يخش شرود ذهن القارئ أو ضياعه في ظل كثرة ودقة التفاصيل، وتنوع الأطياف والألوان، ومغزى كل صورة جمالية، وكل لوحة رسمتها حروفه بانسيابية وشموخ.

احترت وضاعت مني الحروف، ووقفت كما الأميّ الذي يجهل سر الحرف وروح الأبجدية.

أتنقل بين السرد القديم والحديث، وتبعثرني الدروب ما بين الشام والقاهرة، دبي، العراق، اليمن ..

وتخطفني تفاصيل حياة المصريين قديمًا، ما أشبهها بحالتهم اليوم!

الحياة ملحمة صاغها الله على أرقى مستوى من الصياغة لتشع لنا الدهشة والتقى والجمال.

هذه الدهشة التي تغمرك حين تخلع كل مفاهيمك القديمة

بينما تخطو أولى خطواتك نحو هذا البحر النوراني، بموجاته الحبلى بالمعرفة.. تلك التي تمتد نحوك بأكف البراءة لتهدهد أنفاسك المضطربة وأنت على أعتاب عالم لم يصل إليه خيالك من قبل، ولم تجرؤ روحك على اختراقه، فتمنحك ثوب الطهارة وتختم على قلبك بختم التُقى لتبدو ببهاء وجمال ملائكة النور.

منحة إلهية لا تتكرر كثيرًا ولا ينالها سوى أولياء الله والهائمون في عشقه.

في كل خطوة تخطوها تُسقط خطيئة جهل، وترتقي العلم درجة.

المراجع

- نظرية الأجناس الأدبية
  دراسات في التناص والكتابة والنقد
  الكاتب تزفيتان تودورف ترجمة عبد الرحمن بو علي
- فن الرواية
  الكاتب ميلان كونديرا
- دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن
  د. محمد زكي العشماوي
- في علم الكتابة
  الكاتب جاك دريدا ترجمة أنور مغيث، منى طلبة
- ديوان الراعي النميري
- المجلد الثالث شرح كتاب سيبويه
  تأليف أبي سعيد السيرافي والحسن بن عبد الله المرزبان
- بناء الرواية- سيزا قاسم
- فن الرواية- كولن ولسون. ترجمة محمد درويش
- الدار العربية للعلوم ناشرون- مكتبة بغداد
- لسان العرب- ابن منظور

نبذة عن الكاتبة

أمل محمود درويش

طبيبة بيطرية وأخصائية مختبرات طبية

كاتبة روائية وقصة قصيرة

كاتبة صحفية في عدة صحف ومواقع إلكترونية (الراي الكويتية، الكنانة نيوز، المساء العربي)

رئيس قسم الأدب بجريدة كنوز عربية

مدير مكتب جريدة الجمهورية والعالم في دولة الكويت

إصدارات ورقية:

- **رواية "أسماء" حائزة على المركز الأول في مسابقة أفضل إصدار لمؤسسة النيل والفرات لعام ٢٠١٩**
- **رواية "عهد" صدرت عام ٢٠٢٠**
- **مجموعة قصصية "أحمر شفاه" الفائزة بالمركز الأول مكرر في مسابقة مهرجان فارس الإبداع العربي عام ٢٠٢٠**
- **مشاركة بعمل حوار مع الكاتب والمخرج المسرحي السيد حافظ ضمن كتاب (السيد حافظ والذاكرة المسرحية في حوارات) للكاتب والناقد أحمد حافظ**

- **مشاركة بدراسة نقدية في كتاب إشكالية وتمازج ملامح العشق المقدس والمدنس عن رواية لو لم أعشقها للكاتب السيد حافظ**

ببليوجرافيا الكاتب السيد حافظ
وأهم أعماله فى المسرح والرواية
حتى شهر مايو ٢٠٢١

- من مواليد محافظة الإسكندرية جمهورية مصر العربية ١٩٤٨
- خريج جامعة الإسكندرية قسم فلسفة واجتماع عام ١٩٧٦ / كلية التربية.
- أخصائى مسرح بالثقافة الجماهيرية بالإسكندرية من ١٩٧٤/١٩٧٦.
- حاصل على الجائزة الاولى في التأليف المسرحى بمصر عام ١٩٧٠.
- مدير تحرير مجلة (الشاشة) (دبى مؤسسة الصدي ٢٠٠٦-٢٠٠٧).
- مدير تحرير مجلة (المغامر) (دبى مؤسسة الصدي ٢٠٠٦-٢٠٠٧).
- مستشار إعلامى دبى مؤسسة الصدى (٢٠٠٦-٢٠٠٧).
- مدير مكتب مجلة أفكار بالقاهرة (الكويت).
- مدير مركز الوطن العربى للنشر والإعلام (رؤيا) لمدة خمسة سنوات.
- حصل على جائزة أحسن مؤلف لعمل مسرحى موجه للأطفال في الكويت عن مسرحية سندريلا عام ١٩٨٠.
- حصل على جائزة التميز من اتحاد كتاب مصر ٢٠١٥
- كتب عنه أكثر من ٥٣ رسالة جامعية بين مشروع تخرج أو ماجستير أو دكتوراة.

عرض له في مسرح الطفل

- مسرحية سندريلا (الكويت -سلطنة عمان -البحرين)	١٩٨٣ إخراج / منصور المنصور.
- مسرحية الشاطر حسن (الكويت -دبى -أبوظبى)	١٩٨٣ إخراج / أحمد عبد الحليم.
- مسرحية سندس (الكويت -البحرين - قطر)	١٩٨٥ إخراج / محمود الألفى.
- مسرحية على بابا (الكويت - دبى)	١٩٨٥ إخراج / أحمد عبد الحليم.
- مسرحية اولاد جحا (الكويت - البحرين)	١٩٨٦ إخراج / محمود الألفى.
- مسرحية حذاء سندريلا (الكويت - بغداد)	١٩٨٧ إخراج / دخيل الدخيل.
- مسرحية بيبى والعجوز (الكويت - بغداد)	١٩٨٨ إخراج / حسين مسلم.
- مسرحية فرسان بنى هلال (الكويت)	١٩٨٩ إخراج / محمد سالم.
- عنتر بن شداد (الكويت)	١٩٨٩ إخراج / أحمد عبد الحليم
- مسرحية اولاد جحا (مصر)	١٩٨٩ إخراج / المؤلف.
- مسرحية سندس	١٩٨٩ إخراج / خمسة مخرجين.
- مسرحية حكاية لولو وكوكو	١٩٩٠ إخراج / المؤلف.
- مسرحية قميص السعادة - القاهرة	١٩٩٣ إخراج / محمد عبد المعطى

فرقة تحت١٨ القطاع الاستعراضى بطولة ١٩٩٦ إخراج / حسام عطا
وجدى العربى -عبد الرحمن أبو زهرة
عائشة الكيلانى -علاء عوض
- مسرحية حب الرومان وخيرزان (القاهرة)
- فرقة تحت ١٨ القطاع الاستعراضى.. بطولة : مى عبد النبى - لمياء الأمير - محمد عبد المعطى، أحمد الحجار.
- مسرحية (سفروتة في الغابة) ١٩٩٨ إخراج د. محمد عبدالمعطى
من إنتاج المؤلف .. وتم عرض المسرحية في (مهرجان قرطاج المسرحى بتونس) بطولة / وفاء الحكيم. محمد عبد المعطى

<u>كتب العديد من الروايات منها :</u>

١- مسافرون بلا هوية ١٩٩٧
٢- نسكافيه ٢٠١٠
٣- قهوة سادة ٢٠١١
٤- كابتشينو ٢٠١٢
٥- شاي أخضر - شاي بالياسمين ٢٠١٤
٦- كل من عليها خان 2015
٧- حتى يطمئن قلبى ٢٠١٦
٨- ما أنا بكاتب (تشظى منها روايتان : وهمت به —شط إسكندرية يا شط الهوى) ٢٠١٧
٩- نورو موسى الحبل السري للروح ٢٠١٨
١٠- نيروزي والبنت وجد ٢٠١٨
١١- شهرزاد تحب القهوة سادة ٢٠١٨
١٢- كرس على البحر ٢٠١٨
١٣- هل ما زلت تشرب السيجار ٢٠١٨
١٤- الحاكم بأمر الله وشمس ٢٠١٨
١٥- وتحممت بعطرها ٢٠١٩
١٦- حكاية البنت لامارو قراقوش ٢٠١٩
١٧- لو لم أعشقها ٢٠١٩
١٨- كل هذا الحب ٢٠١٩
١٩- نسيت أحلامى فى باريس ٢٠١٩
٢٠- أنا وفاطمة ومارك ٢٠١٢ —رواية رقمية تفاعلية ط ٢٠٢٠

<u>مشاريع السيد حافظ الكوميدية للمسرح</u>

١. الغجرية والسنكوح
٢. وسام من الرئيس
٣. رحلات ابن بسبوسة
٤. أنا ما ليش حل
٥. عريس الغفلة
٦. حكاية الفلاح عبد المطيع
٧. حكاية مدينة الزعفران
٨. الحوش
٩. الراجل اللى لعبها صح
١٠. امسكوا سالم حشيشة
١١. ملك الزبالة
١٢. حرب الملوخية
١٣. الرقص على النار
١٤. عوانس ٢٠٠٠
١٥. بيت الحبايب

كتب مشروعاً مسرحياً للقضية الفلسطينية وحرب أكتوبر والاستنزاف تضمن :

١. رجال في معتقل
٢. يا زمن الكلمة الكدب الكلمة الخوف الحانة الشاحبة العين
٣. والله زمان يا مصر
٤. الأقصى فى القدس يحترق
٥. أحبك يا مصر

كتب لمسرح الطفل مشروعا به مسرحيات

١. سندريلا
٢. الشاطر حسن
٣. أبو زيد الهلالى
٤. سندريلا والأمير
٥. سندس
٦. علي بابا
٧. اولاد جحا

٨. بيبى والعجوز
٩. سندباد سواح فى البلاد
١٠. قطر الندى
١١. عنتر بن شداد
١٢. فستق وبندق
١٣. القطة يويو
١٤. أحلام بابا نويل
١٥. حمدان ومشمشة
١٦. سفروته فى الغابة
١٧. حب الرمان وخيزران
١٨. الوحش العجيب

<u>قدم مشروعا للمسرح التجريبى</u>

١) كبرياء التفاهة فى بلاد اللامعنى - الط الرابعة
٢) حدث كما حدث ولكن لم يحدث أي حدث
٣) هم كما هم ولكن ليسوا هم
٤) علمونا أن نموت وأن نحيا
٥) الطبول الخرساء فى الأودية الزرقاء
٦) حبيبتى أنا مسافر والقطار أنت والرحلة الإنسان
٧) حبيبتي أميرة السينما
٨) إشاعة
٩) إجازة بابا
١٠) الميراث
١١) سيمفونية المواقف ٥ مسرحيات تجريبية فصل واحد وهى
١٢) إيقاع في رحم الكلمات العذرية
١٣) نغم فى الحلم الفوضوى
١٤) تقسيمات مختزنة للشمس
١٥) سقوط حضارة لوط
١٦) الخادمة والعجوز (٦ مسرحيات تجريبية)
١٧) المفتاح
١٨) الخلاص يا زمن الكلمة الكدب الكلمة الخوف

١٩) سيزيف القرن العشرين
٢٠) الأشجار تنحنى أحيانًا (مسرحيات تجريبية) وهي
٢١) رجل ونبي وخوذة
٢٢) امرأة وزير وقافلة
٢٣) طفل وقوقع وقزح
٢٤) لهو الأطفال فى الأشياء شيىء
٢٥) تكاثف الغثاثة على الخلق موتًا
٢٦) خطوة الفرسان فى عصر اللاجدوى.. كلمة
٢٧) محبوبتي محبوبتي قمر الخصوبة فى شرنقة حبنا ميلادًا
٢٨) تعثر الفارغات فى درب الحقيقة.. بحث
٢٩) ياله من عالم مظلم بارد متخبط
٣٠) بوابة الميناء
٣١) قدم مشروعًا للمسرح النسوي يحتوي على (٥) مسرحيات للنساء تحت عنوان إكسبريسو ومعها
٣٢) امرأتان
٣٣) ليلة ليلاء
٣٤) ليلة الخميس
٣٥) ليلة اختفاء الحاكم بأمر الله
٣٦) ليلة اختفاء إخناتون
٣٧) ليلة اختفاء فرعون موسى
٣٨) المنشار
٣٩) التحقيق
٤٠) صراع الألوان مشروع مسرحيات قصيرة جدًا يضم ٣١ مسرحية بين دقيقة ونصف دقيقة.
٤١) المسافر ٢٠١٨
٤٢) الجراد ٢٠١٨
٤٣) مزامير السيد حافظ المسرحية – تحت الطبع.

<u>قدم لمسرح المونودراما مشروعاً :</u>

١) مسرحية أجازة بابا
٢) مسرحية الخادمة والعجوز
٣) مسرحية اكسبرسو

أخرج للمسرح

١. مسافر ليل (لصلاح عبد الصبور) عام ١٩٧٠ من بطولة ٢٥ طفل وطفلة (أصغرهم ٦ سنوات وأكبرهم ١٢ سنة) عرض غنائى موسيقى (ألحان حمدى رؤوف وكورال ٤٠ طفل وطفلة) المسافر ٦ شخصيات والراكب ٦ شخصيات عشري السترة ١٠ شخصيات.
٢. (الحبل) إيوجين أونيل ١٩٦٨ بطولة مهدي يوسف (المؤلف الشهير الحالي) – معهد إعداد الفنيين التجاريين.
٣. الزوبعة لمحمود دياب، كلية التربية عام ١٩٧٣.
٤. الخروج من ساحل المتوسط قصيدة محمود درويش عرض بطولة ١٢٠ ممثل وممثلة من الشباب.
٥. آه يا وطن ١٩٧٣ قصائد سيد حجاب، مجدي نجيب،عبد الرحمن الأبنودي-فؤاد حداد.
٦. حديقة الحيوان لإدوارد اولبي ترجمة على شلش بطولة "أحمد آدم" نجم الكوميديا حاليًا، صفاء غراب قصاص معروف حاليًا.
٧. كوكو ولولو، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج خاص.
٨. اولاد جحا، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج قصر ثقافة مصطفي كامل.
٩. نال جائزة أحسن مخرج في مراكز الشباب عام ١٩٧٠ عن مسرحية (جواز سفر) إعداد / عن أشعار محمود درويش وسميح القاسم.

أسس جماعات تجريبية للمسرح

- فرقة الصعاليك – فرقة ألف باء مسرح – جماعة الاجتياز – وكان ضمن هذه المجموعة الفنان/ فاروق حسنى وزير الثقافة السابق، ود/ مصطفي عبد المعطى وكيل وزارة الثقافة السابق. والفنان مسعد خميس وعلى الجندى ومحمد نوار وقد أخرج يوسف عبد الحميد مسرحية كبرياء التفاهة فى بلاد اللامعنى بطولة مسعد خميس ونازك ناز ومسرحية سيزيف بطولة على الجندى.. ومسرحية إيقاع فى رحم الكلمات العذرية بطولة محمد أنور .
- جماعة المسرح الطليعي التى قدمت مسرحية (آه يا وطن) لمدة ١١٠

يوم وكانت أول فرقة للهواة في تاريخ مصر تقدم عرضًا متواصلاً دون إجازة – عام ١٩٧٣.

أعماله في فرق الأقاليم والمحافظات

م	المكان	المسرحية	المخرج	سنة العرض
١	مسرح كلية الأداب بالاسكندرية	حكاية الفلاح عبد المطيع	رمضان عبد الحفيظ	١٩٨٧
٢	قصر ثقافة الحرية – الاسكندرية	امرأتان	السيد حافظ	١٩٨٩
٣	بيت ثقافة أبو تشت	رحلات ابن بسبوسة	فريد عبد الحميد	١٩٩٤
٤	بيت ثقافة السنبلاوين	رحلات ابن بسبوسة	رجائى فتحى	١٩٩٥
٥	قصر شبرا الخيمة	ملك الزبالين	محمد الخولى	١٩٩٦
٦	ميت غمر	ملك الزبالين	على عزب	١٩٩٦
٧	العائم	ملك الزبالين	محمد الخولى	١٩٩٦
٨	القليوبية	ملك الزبالين	ماهر سليم	١٩٩٦
٩	أبو حمص	قراقوش والأراجوز	سيد هنداوي	١٩٩٧
١٠	العريش	النديم	عبد الستار الخضري	١٩٩٧
١١	غزل المحلة	خطفونى ولاد الإيه	مجدي مجاهد	١٩٩٧
١٢	بلبيس	رحلات ابن بسبوسة	إبراهيم شكري	١٩٩٧
١٣	المسرح العائم	قراقوش والأراجوز	محمد الخولى	١٩٩٧
١٤	بيت منشية ناصر	عاشق القاهرة	أحمد عبد الباقى	١٩٩٨
١٥	قصر	حكم قراقوش	أسامة شفيق	١٩٩٨
١٦	بيت النصر	ملك الزبالين	فوزي شنودة	١٩٩٩
١٧	أبو حمص	ملك الزبالين	عادل شاهين	٢٠٠١
١٨	الجيزة	حرب الملوخية	أشرف فاروق	٢٠٠٢
١٩	أبنوب	حرب الملوخية	عادل بركات	٢٠٠٢
٢٠	البيت الفنى للمسرح مسرح الغد	امرأتان	محمد متولى	٢٠٠٢
٢١	الغنايم	وسام من الرئيس	محمد المصري	٢٠٠٤
٢٢	زفتى	وسام من الرئيس	السيد الحسينى	٢٠٠٤
٢٣	قصر ثقافة أبو تيج بأسيوط	ملك الزبالة	إميل شوقى	٢٠٠٩

أشهر ما أخرج السيد حافظ من مسرحيات للمسرح

١) بنطلون روميو تأليف ابو السعود الأبيارى
٢) الغربان - تأليفه

٣) مسافر بلا متاع لجان انوى.
٤) الخواجة لامبو مات لعبد الرحمن الأبنودي
٥) شرق المتوسط لمحمود درويش
٦) الزوبعة لمحمود دياب
٧) الحبل لجان أنوى
٨) حديقة الحيوان لإدوارد اولبي بطولة أحمد آدم
٩) هم كما هم وليسوا هم الصعاليك تأليفه وبطولة مهدي يوسف المؤلف الشهير حاليًا مؤلف يوميات ونيس
١٠) ليالي الحصاد لمحمود دياب
١١) أحبك يا مصر تأليفه
١٢) سندس تأليفه
١٣) الخطوبة لتشيكوف
١٤) المخبأ تأليفى
١٥) والله زمان يا مصر تأليفه
١٦) أحبك يا مصر تأليفه
١٧) مصطفى كامل تأليفه
١٨) عبد الله النديم تأليفه
١٩) مسافر ليل لصلاح عبد الصبور كاملة من بطولة ٣٠طفلاً ألحان حمدى رؤوف
٢٠) اولاد جحا تأليفه
٢١) ومن أشهر ممن ساعده في الإخراج لسنوات
- الأستاذ عادل شاهين
- الأستاذ محمد غباشي النجم المعروف الآن
- المخرج ناجي أحمد ناجي
- المخرج رمضان عبد الحفيظ
- المخرج سيد شعبان

<u>أخرج مسرحياته المؤلفة للمسرح من مصر الأساتذة المخرجون</u>

أحمد عبد الحليم أخرج ٤ مسرحيات
محمود الألفي مسرحيتان
مجدى عبيد مسرحيتان
فاروق زكي مسرحية

دكتور محمد عبد المعطي مسرحيتان
دكتور حسام عطا مسرحية
فاروق زكي مسرحية
سمير حسني مسرحية
محمد متولي مسرحية
عبد الرحمن الشافعي مسرحية
أشرف فاروق مسرحية
أحمد إسماعيل مسرحية
سمير زاهر مسرحية
عادل شاهين مسرحية
أسامة شفيق مسرحيتان
مجدى مجاهد مسرحينان
محمد سالم مسرحية
علي سرحان مسرحية
عباس أحمد مسرحية
إميل شوقي مسرحية
بالإضافة لحوالي ٣٠ مخرجًا من أشهر مخرجي المحافظات

أخرجت مسرحياته فى العراق من الأساتذة

- **د. وليم يلدا مسرحية الطبول الخرساء فى الأودية الزرقاء**
- **دكتور سعدي يونس مسرحية حكاية الفلاح عبد المطيع**
- **دكتور عباس التاجر العراق بابل مسرحية حكاية مدينة الزعفران**
- **دكتور بشار عليوى مسرحية اختفاء أبي ذر الغفارى**
- **المخرج هشام عبد الرحمن (إعداد وإخراج) مسرحية (سيمفونية العصافير) الفلسطيني المقيم في بغداد معدة عن مسرحية (حبيبيتي أنا مسافر والقطار أنت والرحلة الإنسان) للكاتب المصري السيد حافظ مع مجموعة من أشعار معين بسيسو ومحمود درويش عرضت في معهد الفنون الجميلة في بغداد عام ١٩٨٧ على خشبة المسرح الدوار في المعهد وهي ضمن أطروحات الطلبة للتخرج في المعهد وكانت الممثلة زهرة بدن تمثل أحد أدوار المسرحية الرئيسة فيها ..**

من الكويت أخرج مسرحياته

- منصور المنصور (مسرحية سندريلا)
- دخيل الدخيل (مسرحية سندريلا والأمير الجزء الثاني)
- د حسين مسلم (مسرحية بيبي والعجوز)
- عبد الله عبد الرسول (مسرحية مدينة الزعفران وحكاية الفلاح عبدالمطيع)

أشهر من أخرج له فى الإمارات

جاسم عبيد – مسرحية الساحر حمدان

أشهر من أخرج له من تونس

الطيب السهلي المخرج التونسي أخرج مسرحية الفلاح عبد المطيع مرة فى فرقة جزائرية باسم " الليلة نحكى " ونالت جالزة افضل عرض ٢٠١٠ ومرة فى تونس لفرقة تونسية تونس باسم "ثورة الصبار"

كتب ودراسات مسرحية قدمت عن أعماله فى مسرح الطفل :

- كتاب بحث رسالة الحكاية الشعبية في مسرح الطفل في الكويت - دراسة في مسرح السيد حافظ للباحثة آمال الغريب-المعهد العالي للفنون المسرحية ١٩٨٤- الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٧.
- كتاب بحث رسالة في الشخصية التراثية وظيفتها الفنية والفكرية في مسرح السيد حافظ - سميرة أوبلهي - مكناس المغرب ١٩٨٦- الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٨.
- الشخصية التراثية الشعبية في مسرح الطفل عن السيد حافظ - نموذجًا علي بابا- نزيهة بن طالب (الناشر - العربي للتوزيع).
- مسرح الطفل عن السيد حافظ – نموذجًا " مسرحية الشاطر حسن " فاطمه حاجى - المغرب ١٩٩١.
- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجًا مسرحية " قميص السعادة " نعيمة عبد اللاوي ١٩٩٦-١٩٩٧. (المغرب).
- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية "سندريلا والأمير -

وقميص السعادة" د. عبد العزيز خلوفة - جامعة محمد بن الله - فاس – المغرب ٢٠٠٢-٢٠٠٣.

- دور مسرح الطفل في ترسيخ بعض القيم الأخلاقية عن طريق الحكاية الشعبية نموذج " سندريلا " للالسيد حافظ - سناء جلال أحمد علي – جامعة المنوفية – قسم الإعلام التربوي – جمهورية مصر العربية ٢٠٠٢- ٢٠٠٣.
- مسرح الطفل - دكتور على عاشور الجعفر– الكويت
- مسرح الطفل فى الكويت – د. نرمين الحوطى – الكويت
- خصوصية التأليف لمسرح الطفل فى الوطن العربى (نموذجاً السيد حافظ) – م.م. حيدر على الأسدى – العراق.
- مفهوم الثورة فى مسرح الطفل فى أعمال السيد حافظ – د. رشا دياب كلية التربية النوعية – جامعة طنطا – جمهورية مصر العربية.

كتب ودراسات مسرحية عن أعماله في المسرح التجريبي والمسرح والتراث العربي :

- بحث في اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ- موسكو- تحت إشراف المستشرق فلاديمير شاجال.
- كتاب إشكالية التأهيل في المسرح العربي - صليحة حسني - بحث- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٧.
- كتاب الفلاح في المسرح العربي - نموذجًا حكاية الفلاح عبدالمطيع - للالسيد حافظ – خديجة الفلاح - جامعة محمد الاول -المغرب الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٨.
- كتاب البطل الثوري في مسرح السيد حافظ - نموذجا ظهور واختفاء أبي ذرالغفاري- منصورية مباركي - وجدة - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٩.
- كتاب القضية الفلسطينية في مسرح السيد حافظ -نموذجًا ٦ رجال في معتقل شنايف الحبيب - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٩٠.
- مفهوم الإرشادات المسرحية ومسألة التجريب في المسرح العربي.
- السيد حافظ نموذجًا من خلال مسرحية " طفل وقوقع وقزح " حقون

حميد - المغرب ١٩٩٢.

- التجريب في مسرح السيد حافظ الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب- نموذجا- عائشة عابد - جامعة محمد الاول -١٩٩١.
- التجريب والعبث في المسرح العربي من خلال مسرحية سيزيف للالسيد حافظ – حليمة حقوقى ١٩٩٢.
- التجريب في مسرح السيد حافظ نموذجًا ١ " حبيبتي أنا مسافر و القطار أنت والرحلة الإنسان " ١٩٩٢-١٩٩١-١٩٩٣ بنيونس الهواري. (المغرب)
- المسرح السياسي عند السيد حافظ من خلال مسرحية " ملك الزبالة أو الزبالين " رزوق أحمد – جامعة محمد الاول- وجدة- المغرب - ١٩٩٦.
- إشكالية التجريب في مسرح السيد حافظ أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا بنيونس الهواري ١٩٩٩-٢٠٠٠ (المغرب).
- المسرح التجريبي عند السيد حافظ نموذجًا مسرحية " سيزيف " سميرة لمسايح ٢٠٠٢-٢٠٠٣ (المغرب).
- التراث والمسرح مسرحية " حلاوة زمان " للالسيد حافظ - نموذجًا - فاطمة زكاوي ٢٠٠٢-٢٠٠٣.
- السيد حافظ والمسرح التجريبى د. ليلى بن عائشة – الجزائر.

<u>من أهم الكتب التى كتبت عن السيد حافظ</u>

١- الفعل الدرامى فى مسرح السيد حافظ - دكتور مصطفى رمضانى (مغربى) و٦ باحثين معه.

٢- التشظى وتداخل الأنواع الأدبية (تجربة السيد حافظ فى المسرواية) "جزءان" د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.

٣- التنوع الدلالى فى مسرح الطفل ما بين التناص والتراث والإخراج د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.

٤- رؤية النقد لعلامات النص المسرحى لمسرح الطفل فى الوطن العربى د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.

٥- تمظهر التجديد فى بنية السرد فى القصة القصيرة د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.

٦- المسرح التجريبى بين المراوغة اضطراب المعرفة د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.

٧- إشكالية الحداثة والرؤى النقدية فى المسرح التجريبى د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية

٨- السيد حافظ فى عيون الباحثين والنقاد الجزائريين د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.

٩- السيد حافظ فى عيون نقاد المغرب د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية
١٠- المشاكس د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية
١١- انحطاط العالم د. إبراهيم بوخالفة – الجزائر.
١٢- تمثيل العالم د. إبراهيم بوخالفة – الجزائر.
١٣- التأثيث المكانى فى رواية ليالى دبى شاى بالياسمين – د. محمد زعترى - الجزائر.
١٤- أعمال السيد حافظ المسرحية من الفهم والتفسير إلى صناعة الوعى إعداد الدكتور: مفتاح خلوف – الجزائر – ط ٢٠٢٠م.
١٥- الحب الملكى – سحر التنهيد والعشق – مقتطفات من سباعية السيد حافظ الروائية – د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية ٢٠٢٠م
١٦- السد حافظ والذاكرة المسرحية في حوارات– إعداد الكاتب : أحمد حافظ - مصر - ط٢٠٢٠م
١٧- امبراطورية المسرح – دراسات نقدية في مسرح السيد حافظ - د. ناديه سعدونى ،الجزائر ط ٢٠٢٠م.
١٨- جمالية الكتابة المسرحية والسردية عند السيد حافظ أ.د. كمال الدين عيد ، مصر ، ط. ٢٠٢٠م.
١٩- الهجنة الأجانسية فى أعمال السيد حافظ الإبداعية - د. نادية سعدونى – الجزائر – ط ٢٠٢٠م.
٢٠- مملكة السرد " دراسات نقدية في سرديات السيد حافظ " د. إبراهيم بوخالفة – الجزائر – ط٢٠٢٠م
٢١- معارك المسرح " دراسات فى النقد المسرحى لنصوص السيد حافظ " د. إبراهيم بوخالفة – الجزائر – ط٢٠٢٠م
٢٢- بلاغة التعبير عن فكر الكاتب السيد حافظ السياسى فى إبداعه الروائى – رسالة ماجستير – مى جمال الشربينى – ط ٢٠٢٠م
٢٣- ثورة الابداع فى المسرح والسرد - نموذجًا الكاتب السد حافظ - الدكتورة وفاء كمالو – إعداد د. نجاة صادق الجشعمى – العراقية – ط ٢٠٢٠م
٢٤- ثنائية المخاتلة بين النص الغائب والصورة الذهنية فى مسرح السد حافظ - إعداد : "أسمهان سعودى وسناء نويوية " اشراف د . محمد زعيتري – الجزائر - ط ٢٠٢٠م.
٢٥- التجريب فى المسرح العربى مسرح السد حافظ نموذجًا – إعداد : عبد الحق قرطيط – إشراف الدكتور / يونس لوليدي – المغرب – ط ٢٠٢٠م
٢٦- صور المرأة وأبعاد توظيفها فى مسرحيات السد حافظ – إعداد عفاف صغيرة و نادية زوالى – إشراف الدكتور / مفتاح خلوف – الجزائر – ط ٢٠٢٠م.
٢٧- التشاكل الأجناسى فى سباعية السيد حافظ – د. أمل درويش – القاهرة

مشاركات

- شارك في مهرجان
- قرطاج (تونس)
- مهرجان بغداد (العراق)
- مهرجان مسرح الطفل – الأردن
- مهرجان أبو ظبي
- مهرجان القاهرة
- مهرجان الإسكندرية
- مهرجان مطروح
- مهرجان بيجاية (الجزائر)
- مهرجان مدينة وجدة المسرحى (المغرب)
- مهرجان مسرح الطفل (الكويت)
- مهرجان المونودراما الاول فى البصرة – العراق.

العنوان : ١٢ ش طارق يحيى عبد الغنى – التعاون – الهرم – الجيزة موبايل ٠٠٢٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨ – ٠١٠٦٥٣٣٠٢٩٩
E-mail : Justhappy_man2000@yahoo.com - hafez66@live.com
مدونة الكاتب: http://sdhafez.blogspot.com
https://www.facebook.com/alsyd.hafz.7

فهرس